ويحك أيها العاصى

تأليف الشيخ

محمود عبد الملك الزغبى

مكتبة الايمان

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

ت . ٣٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م

مكتبة الإيمان ـ للنشر والتوزيع

المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر

تليفون ٣٥٧٨٨٢٠

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْده الله فلا مضل له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادى له. والحمد لله الأول بلا ابتداء، الآخر بلا ابتهاء، الظاهر فما فوقه شيء، الباطن فما دونه شيء، كان حيث لا كان شيء قبله، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له..

فيا عجبًا كيف يُعْصَى الإله	أو كيف يجحده الجاحدُ؟
وفى كل شَىْءٍ له آية	تدلُّ على أنه الواحدُ

وأشهد أن محمدًا، عبده ورسوله - ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمرن: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

وبعد أيها العاصى.. إبكى على المآسى.. إلى متى هذا التناسى؟!!!

انظر إلى سابقيك وقل:

إن الذين كانوا فى اللذات يتقلبون، ويتجبرون على الخلق ويتكبرون؟ ضُرِبَتْ لهم كئووس المنون، فهم لها يتجرعون، وتركوا الأموال التى كانوا لها يجمعون، وفارقوا العيش الذى كانوا به يتمتعون. فلو رأيتهم يا هذا فى حُلَلِ الندامة يرفلون. ويساقون إلى الموت وهم ينظرون. **﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**؟.

ومن أجل ذلك، ومن أجل «أن كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابين»[1] وضعت هذا الكتاب. الذى أدعو الله أن ينفع به.

والحمد لله رَبِّ العالمين

المؤلف/ خادم السنة المطهرة

الشيخ/ **محمود عبد الملك الزغبى**

المنصورة

---

(١) الحديث حسن:

أخرجه ابن ماجه [٤٢٥١] وأبو يعلى [٣٠١/٥] وأحمد فى «المسند» [١٩٨/٣] والدارمى [٢٧٣٠]، والرويانى فى «المسند» [/ ٣٨٤] «ج» [١٣٦٦]، والترمذى فى سننه [٤/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥] «ح» [٢٥٠٧] وقال: هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث على بن مسعدة وعن قتادة. أ .هـ.

وحسنه الشيخ الألبانى. وراجع «المشكاة» برقم [٢٣٤١].

دعوة إلى العاصى

أيها العاصى إبكى على المآسى إلى متى هذا التناسى؟ أنظر إلى سابقيك وقل:

أين اللذين كانوا فى اللذات يتقلبون، ويتجرون على الخلق ويتكبرون؟ ضربت لهم كؤس المنون فهم لها يتجرعون. وتركوا الأموال التى كانوا لها يجمعون. وفارقوا العيش الذى كانوا به يتمتعون. فلو رأيتهم يا هذا فى حلل الندامة يرفلون، ويساقون إلى الموت وهم ينظرون **﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون﴾**.

وصدق القائل:

إليك من مكرك يا إلهى	كل البرايا دائما يحذرون
فكم ذنوب وعيوب مضت	ونحن عنها يا إلهى غافلون
نضيع العمر بكسب الخطا	فنحن فى أوقاتها لاعبون
نشاهد الموت ولا نرعوى	ولا تنبهنا لريب المنون
بل غفلة تطمس أبصارنا	وشقوة خابت لديها الظنون
فنحن يا رب الورى كلنا	إليك من زلاتنا هاربون
لكننا نسأل رب الورى	عفو وصفحًا كى تقر العيون

أيها العاصى أنظر بعين البصيرة إلى منْ أنت راحل وعلى منْ أنت نازل فويل لك من الله أن لم ترجع إليه.

وكان رجل يحاسب نفسه على سيِّئاته وخطاياه فحسب يومًا سنينه فوجدها ستين سنة فحسب أيامها فوجدها أحدا وعشرين ألف يوم وخمسمائة فصرخ صرخة وخر مغشيًا عليا فلما أفاق قال: يا ويلتاه. وأنا آتى ربى بأحد عشرين ألف ذنب وخمسمائة يقول: هذا لو كان فى كل يوم ذنب واحد فكيف بذنوب لا

تعصى؟ ثم قال آه علىَّ عمرت دنياى وخربت آخرتى وعصيت مولاى الوهاب ثم لا أشتهى انقلة من العمران إلى الخراب وكيف أقدم فى يوم الحساب على الكتاب والعذاب؟

وصدق القائل:

نـــازل دنيـــاى عمـــرتها	**وخربت دارى فى الآخرة**
فأصبحت أنكر دارى الخراب	**[illegible] فى [illegible]ارى العامرة**

ويحك أيها العاصى إتبعت عدوك وهجرت حبيبك.. فيقول ﷺ: «إن الشيطان قال: وعزتك ياربُّ لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحُهم فى أجسامهم، فقال الرب عزّ وجلَّ، وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى، لا أزال أغفر لهم ما إستغفرونى»(1).

أيها العاصى: الشيطان راصد يرصد جميع المقاصد» **﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾** لا تسمعوا قوله فإنه كذاب أشر ولا تقبلوا نصحه فإنه غشاش إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير واعجبًا لمن كان فى ظهر أبيه كيف يدخل نارًا وقودها الناس والحجارة؟ يا ابن آدم إنما طردنا إبليس لأنه لم يسجد لأبيك فالعجب منك كيف صالحته وهجرتنا؟!!

سوف يأتى عليك الوقت، ستندم على كل ما فعلت،

كان رجل كثير البكاء، فقيل له فى ذلك، فقال: أبكانى تذكرى ما جنيت على نفسى حين لم أستحى ممن شاهدنى وهو يملك عقوبتى، فأخرنى إلى يوم القيامة الدائمة، وأجلنى إلى يوم الحسرة الباقية، والله لو خيرت، أيما أحب إليك، تحاسب ثم يؤمر بك إلى الجنة، أو يقال لك كن ترابًا؟ ـ لاخترت أن أكون

---

(1) الحديث: حسن، أخرجه أحمد فى المسند [٣/٣٩ ـ ٤١] وابو يعلى فى «المسند» [٢/٤٥٨] «ح» (٢٩٩/١٢٧٣] وقال الهيثمى فى المجمع [١٠/٢٠٧]: رواه احمد وابو يعلى.. والطبرانى فى الأوسط وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادى أبى يعلى. اهـ والحاكم فى «المستدرك» [٤/ ٢٦١) كتاب التوبة والإنابة. وقال: صحيح الإسناد، ووافقه واقره الذهبى، وكذا البغوى فى «شرح السنة» [٥/ ٧٦ ـ٧٧] «ح» [٢٩٣] وحسنه الشيخ الألبانى. وراجع المشكاة برقم [٢٣٤٤] وصحيح الجامع برقم [١٦٥٠] والسلسلة برقم [١٠٤] والحديث من رواية أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه.

ترابًا[1].

اعلم أيها العاصى أن المعاصى ظلمات لا يعلم مداها إلا الله وإلى هذا فطن الشافعى ـ رحمه الله تعالى: يقول ابن قيم الجوزية لما جلس الإمام الشافعى بين يدى مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه فقال: إنى أرى الله قد أُلقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية، أهـ.

وها هو الشافعى رحمه الله، كان يحفظ من أول وهله كما نقل الحفاظ ولكنه يومًا رأى كعب امرأة فذهب ليحفظ ولكنه قرأ مرة واثنين وثلاثة ولكن بدون أن يدرك شيئًا، فذهب إلى شيخه وكيع، فأنشد الشافعى ـ رحمه الله ـ يقول[2]:

شكوت إلى وكيع[3] سوء حفظى ... فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وقال: اعلم بأن العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتاه عاصى

فهذا أيها العاصى حرمان العلم، فأن العلم نور يقذفه الله فى القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

قال وهيب بن الورد: بينما امرأة فى الطواف ذات يوم وهى تقول: يارب!! ذبت اللذات وبقيت التبعات، يارب!! سبحانك، وعزتك إنك أرحم الراحمين، يارب! مالك عقوبة إلا النار فقالت صاحبة لها كانت معها: أُخية!! دخلت بين ربك اليوم؟ فقالت: والله ما أدرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربى، فكيف أراها أهلاً أطأ بهما بيت ربى وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا؟

وصدق القائل:

(١) انظر التوابين [ص/ ١٥٠ ـ ١٥١] ـ تحقيق (محمود عبد الملك الذغبى) طـ دار المنار ـ

(٢) أنظر «الداء والدواء» لابن القيم ـ تحقيق الشيخ محمد عبد املك الذغبى. طـ دار المنار ـ

(٣) وكيع هو: ابن الجراح بن مليح الرؤاسى. حافظ، قل أحمد: ما رايت أعى للعلم منه، ولا أحفظ، ولا رأيت معه كتابًا قط ولا رقعة. توفى سنة ١٩٦هـ. وراجع ترجمته فى: حلية الأولياء [٨/ ٣٦٨] وتاريخ بغداد [١٣/ ٤٦٦] وتذكرة الحفاظ [١/ ٣٦] وطبقات الحفاظ [ص/ ١٣٣] والشذرات (١/ ٣٤٩] وتهذيب الأسماء [٢/ ١٤٤] لشرف الدين النووى ـ رحمه الله تعالى.

لا عذر لى قد أتى المشيب فليت شعرى متى أتوب

إبليس قد غرنى ونفسي ومسنى منهـــما اللغوب

إذا انقضى للشقاء ذنب تجددت بعــــده ذنـــوب

ومن ورائى حلول قبرى ساكنه مفـــرد غريــــب

ولست أدرى إذا أتانى رســـول ربـــى بما أجيب

هل أنا عند الجواب منى أخطئ فى القول أم وأصيب

أم أنا يوم الحساب أم لـــى فـــى ناره نصيب

يارب جد لى على رجائى بمنة مـــــنك لا أخـــيب

وقال يحيى بن معاذ الرازى: عجبت من ذى عقل يقول فى دعائه: اللهم لا تشمت بى الأعداء، ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له، قيل: وكيف ذلك؟ قال: يعصى الله ويشمت به فى القيامة كل عدو وقال سليمان التيمى: إن الرجل ليصيب الذنب فى السر فيصح وعليه مذلته.

اعلم أيها العاصى أن عليك رقيب وسوف يظهر لك الأمر البعيد والقريب، ويوم الحساب على الأبواب فإياك ومعصية الله الوهاب.

دخل الأديب الكبير ثعلبة على أحمد بن حنبل فقال له الإمم ماذا تحفظ من الشعر؟

قال الأديبُ: أحفظ بيتين من الشعر؟

قال الإمام: ما هما؟

قال:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسب الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فدخل الإمام أحمد الحجرة وأغلق على نفسه وظل ينتحب ويقول ويرد

الأبيات: إذا ما خلوت الدهر... الخ. حتى أن طلاب العلم سمعوا صوت الإمام من خارج المنزل.

فهؤلاء أيها العاصى هم الأئمة، فكيف بك يا فقير يا مسكين يا صاحب الذنوب والمعاصى، أبكى أيها العاصى على ما ستجده عند الله من المآسى، فعند الله تجتمع الخصوم، فعليك بعبارة علام الغيوب.

أيها العاصى أن الحيوانات أوفى منك فانظر إلى هذه الموعظة بالقلب لا بالعين.

خرج الحرث بأصحابه إلى النزهة فرجع واحد منهم فتبعه كلب من كلاب فدخل الرجل على زوجة الحرث وأوقع الفاحشة بها فوثب الكلب عليها فقتلهما فلما جاء الحرث فوجدهما ميتين، فقال:

فيا عجبًا للخل يهتك حرمتى ... ويا عجبًا للكلب كيف يصون

وشكا رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها فى نفسه فقال له:

إذا قد أوحشتك الذنوب ... فدعها إذا شئت واستأنس

وليس على القلب أمرٌ من وحشة ... الذنب عل الذنب فالله المستعان

ويقول ﷺ «إن المؤمن إذا أذنب كانت نُكْتَةٌ سوداء فى قلبه، فإن تاب واستغفر صُقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلكم الرَّان الذى فى ذكر قوله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[1].

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند [٢/٢٩٧] والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» [ص/٣١٧] «ح» [٤١٨]، وابن ماجه فى السنن [٢/١١٨] كتاب الزهد [٣٧] باب [٢٩] «ح» [٤٢٤٤] والترمذى [٥/ ٤٣٤] كتاب التفسير [٤٨] «ح» [٣٣٣٤] وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن حبان، ذكره الهيثمى فى «موارد الظمآن»س [٦٠٧] كتاب التوبة [٣٩] «ح» [٢٤٤٨] والحاكم فى «المستدرك» [٢/ ٥١٧] وقال: صحيح على شرط مسلم. وأقره ووافقه الذهبى. والطبرى فى «جامع البيان» [٣٠/ ٦٢] وابن جرير فى التفسير [٣٠/ ٩٨] والسيوطى فى «الدر المنثور» [٦/ ٣٢٥] وزاد نسبته إلى ابن المنذر عبد بن حميد، وابن مردوية، والبهقى فى «الشعب». نكتت من النكت وهو الأثر فى النسء. والنكتة: نقطة سوداء فى شىء طافٍ، والصقل: الجلاء. «الران» ران على قلبه أى: زاد وغطى عليه والآية من سورة المطففين رقم [١٤].

وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه: إن الحسنة ضياء فى الوجه، ونوراً فى القلب، وسعة فى الرزق وقوة فى البدن، ومحبة فى قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً فى الوجه، وظلمة فى القلب، ووهنًا ف البدن، ونقصًا فى الرزق، وبغضة قلوب الخلق».

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوبَ تُميت القلوب وقــد يورث الذُّل إدمانها

وترك الذنوب حياة للقلوب وخــيرٌ لنفســك عصــيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحــبار ســوء ورهــبانــها؟

وكان الفضيل ـ رحمه لله يقول: يا مسكين تغلق بابك وترخى سترك وتستحى من الناس ولا تستحى من الملكين اللذين معك ولا تستحى من القرآن الذى فى صدرك، ولا تستحى من الجليل وهو لا يخفى عليه خافية.

وكان طاوس اليمانى بمكة فراودته امرأة عن نفسه فلم يزل به حت أتى بها إلى المسجد الحرام والناس مجتمعون فقال لها إقضى ما تريدين، قالت: فى هذا الموضع والناس ينظرون؟ قال: فالحياء من نظر الله أحق فتابت المرأة وحسنت توبتها.

أيها المشغول باللذات الفانيات متى تستعد لملمات الممات أتطمع مع حب الدنيا فى لحاق السادات وأنى نجعلك منهم وأنى هيهات يا عظيم الجراءة يا كثير الإنبساط ألك قم تصلح للمشى على الصراط ويحك يا ابن آدم أتدرى ماذا صنعت بعت القرب بالبعد والعقل بالهوى الدين بالدنيا ورحم الله القائل:

لـى ذنــوب شغلتنــى عن صيامــى وصلاتــى

تركت جســى عليــل مات من قبــل وفاتــى

ليتنــى تبــت لربــى من جيــع السيــآت

أن عــبد يا إلهــى هائــم فــى الفلوت

بحـــت جهــرً بعيوبى وذنوبـــــى قاتلاتـــــى

قد توالـــــت سيـــآتى وتلاشـــت حسناتـــــى

ومر منصور بن عمار فوجد شاباً يحدث امرأة فانصرف الشاب تقدم منصور إلى المأة وكلمها أن تذهب معه إلى بيته فمشت خلفه إلى أن دخل منزله وقعدت ووقف منصور صلى فطول عليها فلما سلم قالت: ياهذا طولتً على قال لهاما .تقولين فى رجل عليه حق بأربعة شهود والحاكم يعلم به هل يقد أن يمتنع عنه بجحود؟ قالت: لا والله قال: فإن مع ملكين ومعك ملكن والحاكم يعلم، فاضطبت المرأة ووقعت ميتة.

إخوانى: تذهب اللذة ويرسب الأسف ويبقى عض اليديدن على قبح ما سلف، من قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة كم ذاق آدم عضة بعد تلك اللقمة مضت والله اللذات عضته أسنان الندام كم ذاق آدم عضة بعد تلك اللقمة مضت والله اللذات وبقيت التبعات.

أيها العاصى الفقير، إلى عفو الرب العظم، أتحسب أن أحداً لا يراك، وتفعل المعاصى فى 'كل الأماكن والخربات ولكن عليك من الله شهود، فيا ويلك فى حين اليوم المشهود، فتجد كتابك قد أظلم بالمعصية ، وتعض أصبعك ولكن بعد فوات الأوان، ولم بق لك لا .ملاقاة الواحد الديان، وتحمل كتابك فى عنقك تريد الفكاك منه ولكن آنىً لك ذلك، فا ويلك أيها الهالك تعصى رب الأض والممالك، وتظن أن الشهوت مَالكُ، جمعت المال لمنْ بعدك وخرجت من الدنيا بقطعة قماش سوف ينازعك الدود عليها فيقرضها خيطا خيطاً، أنظر أيها العاصى: حتى كفنك الشيء الوحيد الذى تملكه بعد موتك لا يتركه لك الدود، خلقت من الطين وإلى الطين ونسيت الشاهدين والواحد المتين.

أنظر أيها العاصى إلى هذا الموقف، كيف يعلم الشيخ طلابه مخافة الله ؟:

روى أن بعض المشايخ كان يفضل واحداً من طلابه على أصحابه ويخصه بإقباله ولكن هل يا تُرى سبب ذلك غنى الطالب أم رشوة الشيخ لا والله ولكنه العلم فى الله، أنظر: فوقع فى نفوسهم شيء من قبل هذا الغلام فأراد الشيخ أن

يبين لهم رتبته فأعطى كل واحد منهم طائراً وأمر أن يذبحه فى مكان لا يراه فيه أحد، فمضى كل واحد منهم وذبح طائره وأتى ذلك الفقير بطائره غير مذبوح. وقال: يا شيخى لقد أمرتنى أن أذبحه فى مكان لا يرانى فيه أحد فأينما ذهبت فالله يرانى فعلموا أن الفقير خير منهم جميعاً.

وقال بعضهم مررت بجماعة يترامون وواحد جالس منفرد عنهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله أشهى، قلت: إنك وحدك، قال: معى ربى وملكان، قلت: منْ سبق من هؤلاء، قال: من غفر الله له، ثم قام ومشى وهو يقول: أكثر خلقك متشاغل عنك.

يانفس توبى فإن المـوت قـد حانا	واعصى الهوى فالهوى ما زال فتانا
فى كـل يـوم لنا ميت نشيعه	ننسى بمصرعـه آثـار مـوتانا
يانفس مالى وللأمـوال أكنزهـا	خلفى واخرج من دنياى عُريانا
مابالنا نتعامى عـن مصـارعنـا	ننسـى بغفلتنا مـن ليـس ينسانا
فكم رأينا أناساً صالحين قضوا موتا	وقـد سلبـوا دينـا وإيمانـا
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا	بسوء خـاتمة للمـوت أعيانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبا	قـد آن تقصيرها قـد آن قـدآنا
أين الملوك وأبناء الملـوك ومـنْ	كانت تخر له الأذقان اذعانا
صاحـت بهـم حادثات الدهر فانقلبوا	مستبدلين مـن الأوطـان أوطانـا
أخلوا منازلاً كـان الغـر مفرشـا	واستنفروا حـفرا غـبراً وقيعانـا
يا راكدا فـى ميادين الهوى مرحا	فـى ثياب الغـى نشوانـا
مضى الزمان وولى العمر فى لعب	يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

أيها العاصى كن ممن ابتاع نفسه فاعتقها ولا توبقها بالذنب وعصيان الرحمان فإنك لا تقدر أن تصبر على نار الدنيا لحظة فكيف تصبر على دخول نار حامية والصب فوق رأسك من عذاب الحميم، وكم من دعوة مظلوم لا بل دعوات عليك آناء الليل وأطراف النهار ورسول الله ﷺ يقول: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها

وبين الله حجابٌ [١].

وقال الإمام على رضى الله عنه [٢]: شتان بين العملين عمل تذهب اللذة وتبقى تبعته وعمل ذهب مؤنته ويبقى أجره.

وقال أيضاً: الدنيا دار ممر إلى دار مقر، والناس رجلان رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها.

مر بعض السلف على شاب فى سفح جبل وعليه آثار القلق، فقلت له(أى السلف هذا ـ رحمه الله): من أين أنت؟قال: أنا عبد آبق هربت من مولاى قلت: تعود إلى مولاى وتعتذر، قال: لا وجه لى ولا حجة: قلت: تتعلق بمن يستشفع لك قال: بمن أتشفع والكل يخافون منه، قلت: من هذا المولى: قال خرجت روحه فخرجت إلينا عجوز فقالت: من أعان على قتل هذا البائس الحيران، فقلت لها أقيم عندك حتى أعينك على تجهيزه فانهمرت الدموع من عينيها وهى تقول: لا خله بين يدى قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه.

فوالله إن العين لتذرف الدموع من هذا الموقف المؤثر على القلب فهذا العابد يخاف الله 'وأنت أيها العاصى يا منْ تراكمت عليك الذنوب وغمرتك العيوب، ولا يعلم بمداها إلا علام الغيوب، فالعجب كل العجب لمن يعلم أنه راحل وعن الأحباب مفارق كيف يعصى مولاه أفضلت الجنة على النار والشيطان على الرحمن، وفرعون على الرسول ﷺ؟!!!!

(١) الحديث: صحيح، أخرجه أحمد فى المسند [١/ ٢٠٧١] والبخارى فى الزكاة 'خ' [١٣٩٥] واطرافه فى [١٤٥٨] [١٤٩٦] [٤٣٤٨] [٧٣٧١] ومسلم فى الإيمان [٣١]، وابن ماجه فى الزكاة ـ خ [١٧٨٣] والدارمى [١/ ٣٧٩] والترمذى [/ ٤٠٨] 'ح' [٢٠٢١] وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود فى ـ الزكاة [١٥٨٤] والنسائى ـ الذكاة ـ 'ح' [٢٤٣٤] وابن حبان فى 'صحيحه' [١٥٦/ ١] وابن أبى شيبة فى 'المصنف' [٣/ ١١٤] والبغوى كذلك [١٥٥٧] والبيهقى فى 'الكبرى' [٤/ ١٠١]. والطبرانى فى 'الكبير' [١٢٢٠٧].

(٢) قُلتُ: والصحيح ـ رضى الله عنه، أما قولنا: «كرم الله وجهه،» فهذا فعل الرافضة أو يقولون أحياناً: عليه السلام ويقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله: فإن هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان [أى أبو بكر وعمر، وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه. أ. هـ.

وقال العلامة ابن القيم الجوزية: فأما إضافة الصلاة إلى السلام عند ذكر على ـ رضى الله عنه دون غيره فهو ممنوع ولا سيما اذا اتخذه شعاراً لا يخل به حينئذ متعين. أنظر 'جلاء الأفهام' لابن القيم ـ رحمه الله.

أيها العاصى إنك لتنتظر على شغف فرصة المعصية وكأنها طاعة لله، فشتان بينك وبين أولياء الله روى أن أحد السلف كان ينتظر العشاء فأتاه آتى فقال له، وامصيبتاه وامصيبتاه، قال له: ما الذى حدث؟ قال له الرجل: لقد ماتت إبنتك، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم حسبتك قلت لقد أذنت العشاء. . . .

هؤلاء هم أولياء الله فهل أنت كذلك أيها العاصى أتراك تحافظ على الصلاة؟ أتراك تخاف على محارم الله وأنت تهتكها؟ معاذ الله، بل أنت أصبحت عبداً للشيطان، فإن الإنسان بين اثنين، الله عزَّ وجلَّ وهو نعم الوكيل وبين الشيطان الرجيم، فان أعرضت عن الله تولاك الشيطان وان أعرضت عن الشيطان تولاك الرحيم الرحمن.

وكان الشبلى ـ رحمه الله تعالى يقول ويبكى: ليت شعرى ما اسمى عندك غدا يا علام الغيوب، وما أنت صانع بى يا غفار الذنوب وبم يختم عملي يا مقلب القلوب ؟؟

سأل المأمون جاريته عن لذة ساعة ولذة يوم ولذة ثلاثة أيام ولذة شر ولذة سنة ولذة الدهر ولذة الأبد فقالت: الجماع لذة ساعة، والخمر لذة يوم والنورة لذة ثلاثة أيام والعروس لذة شهر والولد لذة عام وملاقاة الإخوان لذة الدهر وعفو الله لذة الأبد.

ورحم الله القائل:

تعصى وتغلق بابك كيلا يرونك تـتفضح	نسيت أنى حـاضـر ولى عـليك رقـيب
تزعم بأنك عاقل وأنت من أهـل الذكـا	وبعت حضـرة بنظرة ما ذاك فعل لبـيب
عمرك مضى وتقضى بقى القليل وترحل	فجدان كان رأيك فى الحزم رأى المصيب
فـانـهض وهيىء زادك تنل مـرادك والمنـى	وراع غصن شبابك مـا دام غصن رطيب

قال رجل لداود الطائى - رحمه الله أوصنى. قال: داوم قروح بطنك بالجوع واقطع مفاوز الدنيا بالأحزان وآثر حب الله تعالى على هواك فما تبالى متى تلقاه، قام

القوم فما يقعدك قريباً من الجنان فما يبعدك؟ فتحت لهم الأبواب فما حيرتك؟ هذه الأطلال فأين السؤال؟ هذه الخيام فأين الخدام هذه الربوع فأين الدموع، هذه القصور فما هذا القصور هذه القبور، فما هذا الفتور هل لك رغبة فى مرافقة الصالحين أو رضيت أن تكون مع الخالفين، يا من قلبه أقسى من حجر حد نفسك: بيد الفكرة واخرج إلى المقابر، وقل لهم ماذا تتمنون، فإنهم لو نطقوا لقالوا: نتمنى ساعة من عمرك، ومثل نفسك فى عرصات القيامة بين المفرطين ترى الوادى قد امتلأ بدموع الأسف ومثل حسك بأصوات المسجونين فى النار إذ يقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً. هذا الذى أقلق العباد وأحرق الأكباد. أيها العاصى: كيف لك تنام الليل وأنت فاعل للمعاصى؟ وقد كان بشر الحافى ـ رحمه الله لا ينام إلا أن يغلب ما تشتهيه أيها العاصى أم من قبل الله وهذا ما تفر منه إلى ذاك.

تعلق أيها العاصى بقطار التائبين لعلك تُحمل معهم، تالله ما حدى الحادى إلا وقد قرب الموسم إذا فتح لك باب فبادر قبل غلقه.

أيها العاصى أما تخليت يوماً فى ظلمة الليل ان هذا الظلام هو ظلام القبور أو ظلمات القيامة، لا، ولكنك دائماً تقول لنفسك بعد الظلام نور والمعاصى على الدوام تطول أنظر أيها العاصى إلى فعل النساء فإنك حتى لم تقارب فعل إمرأة عار عليك يا عاصى.

كانت منيرة العابد ـ رحمها الله إذا جن الليل تقول: ما أشبه هذه الظلمة بظلمة يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم تقوم فتصلى إلى الصباح

أيها العصاة:

تعالوا بنا نصطلـــح	فباب الرضا قد فتـــح
وداووا الفؤاد الذى	بسيف الجفا قد جـرح
أيا مدعى حبـــنـــا	دع الروح ثم انطـــرح

يا منقطعاً عن ركب السابقين فى بيداء الغفلة إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

أيها العاصى هل تفكرت فى معاصيك التى تفعلها ونعم الله عليك أما تستحى أن تأكل من رزق الله وتعصيه يا عجباً لك تأكل رزق الله للتقوى على فعل المعصية وتنس الأيام والسنين ولكن الله لا يضل ولا ينسى كان لبعض الرجال أوقات مناجاة وطاعات فتغيرت ولم تتغير نعم الله تعالى فجلس يوماً فى خلوة وقال: يارب تغيرت خدمتى ولم تتغير نعمتك فسمعه شخص فرد عليه قائلاً: إن لك عندنا لأياماً حفظناها وصنيعتها.

رحم الله القائل:

فيا من بات يخلو بالمعـاصى	وعين الله شاهـــــدة تراه
أما تخشى من الديان طـرداً	وتحرم دائمـــــاً أبدا نداه
تبارز بالمعاصى منك مـولى	على جهـــل يراك ولا تراه
أتعصى الله وهو يـــراك دان	إليك وليس تخشى من سطاه
وتنكر فعلها وله شهـــود	بمكتوب عليـــك وقد حواه
فويل العبد من صحف وفيها	مساويـــة إذا وافـــى مساه
ويا حزن المسىء بشؤم ذنـب	وبعد الحزن يكفيـــه جـزاه
ويندم حسرة من بعد فـــوت	ويبكى حين لا يجـــدى بكاه
يعض يديه من ندم وحـــزن	ويندب حسرة ما قـــد عـــراه
فكن بالله ذا ثـــقة وحـــاذر	هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتـــاب وأنـت حى	لعلك أن تنـال بـــه رضـاه

ولما رأت أم ربيع بن خيثم كثرة بكائه، قالت: يابنى لعلك قتلت قتيلاً فأنت خائف من ذنوبه؟؟ قال: نعم يا أماه، قالت: قل لنا منْ هو لعلنا نطلب من أهله أن يسامحوك فوالله لو رأوا ما تصنع بنفسك لرحموك، قال: يا أماه إنما هى نفسى قتلتها بتقصيرى فى حقوق الله تعالى

اسمع أيها العاصى اسمع يا مسكين، صفات هؤلاء الأقوام كتموا الغرام ولزموا الهيام وأفشوا السلام وبذلوا الطعام وأداموا الصيام وصلوا بالليل والناس نيام، وجانبوا الآثام وانفردوا عن الأنام وخلوا لمناجاة الملك العلام أطاعوه فى الخلوات فمحا عنهم السيئات ورفع لهم الدرجات، ركبوا بحر الندامة وأقلعوها بريح الملامة فوصلوا إلى بر السلامة، طهر قلوبهم وستر عيوبهم وغفر ذنوبهم وبلغهم مطلوبهم، عرفوه فالقوه ورأوا أهلاً للعبادة فعبدوه ووجدوا الربح فى معاملته فعاملوه وعلى الصدق والوفاء بايعوه فى حكم قبضة التدبير حيارى ما بين قتيل وأسير قد أسلبوا العبرات على الوجنات، وواصلوا الزفرات بالحسرات، ونادوا يامن تحيط به الجهات ولا تختلف عليه الأصوات أنقذنا من ظلم الآفات إلى نور ادراك الصفات، يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. صلى على بن أبى طالب - رضى الله عنه صلاة الصبح فلما سلم انتقل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يديه وقال: والله لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ وما أرى أحدا اليوم بسههم كانوا يصبحون شعثا غبراً صفراً قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله تعالى يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكر الله عزّوجلّ مادوا كما تميد الشجرة فى يوم ريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ثم نظر إلى الذين حوله وقال: كأن هؤلاء باتوا غافلين، فلم يضحك - رضى الله عنه حتى قُتل.

هل رأيت لك صفة فيهم أيها العاصى، وهل بت الليل ساجداً لله، أم بته عاكف على المعصية، فوالله أيها العاصى أنت أحق بالضرب من الدابة.

كان أبو مسلم الخولانى - رحمه الله تعالى: يعلق سوطاً بالليل ويقف للصلاة فكلما فتر عن الصلاة ضرب نفسه ويقول: أنت أحق بالضرب من دابتى.

وكان السلف الصالح إذا بلغ أحدهم أربعين سنة طوى فراشه.

ويقول ابن القيم - رحمه الله [1]: إن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغره فى قلبه. وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر فى عين العبد

(١) أنظر "الداء والدواء" للعلامة ابن القيم الجوزية - رحمه الله. تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى. ط. دار المنار

عظم عند الله الرب.

ويقول ﷺ: «**إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فطار**»[1].

وقال ثابت البنانى - رحمه الله: كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يلبس ويتزين فلما مات رسول الله ﷺ إجتهد فى العبادة فقيل له: لو فعلت هذا فى عهد رسول الله ﷺ لقرت عيناه بك فقال: كان لى أمانان فمضى أحدهما ولم يبق لى إلا الآخر: قال تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾ وقد مات رسول الله ﷺ ولم يبق إلا الإستغفار والإجتهاد فى العبادة.

وقال بعض السلف - رحمهم الله: العبادة حسنة وهى فى الشاب أحسن والمعاصى قبيحة وهى فى الشيوخ أقبح.

أيها العاصى أترك المعاصى، وعلى ربك أقبل فعنده تزول المعاصى، يا منْ أنت له عاصى، وهو لك غير ناسى، ويل لك من المآسى.

قال مالك بن دينار - رحمه الله: بينما أنا أطوف بالبيت وإذا أنا بامرأة تقول دعاء: أتيتك من شقة بعيدة مؤملة معروفك فأعطنى من معروفك تغننى به عن معروف غيرك يا من هو معروف بالمعروف فأخبرت أيوب السجستانى بها فقصدنا منزلها فسلمنا عليها ثم قال أيوب: لو تزوجت رجلاً يعينك على ما أنت عليه؟؟ فقالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السجستانى، فقلت: أنا مالك وهٰذا أيوب فقالت: أف لكما لقد ظننت أن ذكر الله أشغلكما عن محادثة النساء ثم تركتهما وذهبت إلى صلاتها. تالله لو أردت المسير لما التفت إلى الأوطان ولو ذقت حلاوة الخلوة بالمولى لما سكنت إلى مؤانسة الخلان.

---

(1) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى [١٠/١٠٢] فى الدعوات - باب التوبة "ح" [٦٣٠٨].

قال ابن أبى جمرة: السبب فى ذلك ان قلب المؤمن منور فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه عظم الأمر عليه والحكمة فى التمثيل بالجبل ان غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة. اهـ.

يا مـــن يحـــدث نفـــسه بدخـــول جنات النعيـــم
إن كنـــــت متقيـــاً فأنت على صراط مستقيـــم
لا ترجـــون سلامـــة من غير ما قلـــب سليم
فاسـلك طريـــق المتقـــين وظن خيراً بالكـــريم
واذكـــر وقوفـــك خائفـــاً والناس فى أمر عظيـــم
إمـــا إلـــى دار الشقـــاوة أو إلى الغد المقيـــم
فاغـــن حياتـــك واجتـــهد وأنبه إلى الرب الرحيـــم

قال أحمد بن على: استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت، وهى تقول: اللهم إنى أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك، ثم فتحت الباب فدخلنا وسألناها الدعاء فقالت: جعل الله قراكم المغفرة. ثم قالت: مكث عطاء السلمى أربعين سنة لا يرفع بصره إلى السماء فحانت منه يوماً نظرة فخر مغشياً عليه فياليت عفيرة اذا رفعت طرفها إلى السماء لم تعص الله ويا ليتها اذا عصت الله لم تعد.

هلا نظرت أيها العاصى كم من المرات رفعت بصرك إلى السماء، وأنت عاكف على السيئات، أما تستحى من الله الذى يراك، فوقك ربك فى السماء، وأنت فى الأرض تفعل الفساد، فارحم يا رب السماء.

يقول العلامة ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى[1]: قد أخرج الله سبحانه الأبوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه وخالف فيه نهيه، ولعن الله إبليس وطرده من ملكوت السموات والأرض بذنب واحد ارتكبه وخالف فيه أمره، ونحن معاشر الحمقى كما قيل:

تصل الذنوب إلى الذنوب، ونرتجى درج الجنان لدى النعيم الخالد
ولقد علمنا أخرج الأبوين مـــن ملكوته الأعلى بذنب واحـــد

اترك أيها العاصى جنة الدنيا وأقبل على جنة المأوى فيا ويحك تبيع الدائم

(١) انظر "الداء والدواء" تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى. ط. دار المنار - فياض.

بالزائل والرابح بالخاسر وتبيع طاعة الرحمن بطاعة الشيطان. يقول ﷺ: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**[1].

وقال بعض السلف: إنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خُلق امرأتى ودابتى.

وكانت امرأة بطبرية يقال لها زينب غلبها النوم وفى بعض الليالى سمعت قائلاً يقول:

صلاتك نور والعبادة نــــور   فقومى فصلى والعباد رقود

وخرجت يوماً فاندقت أصبعها فاجتمع عندها قوم من الرجال والنساء يعزونها فى أصبعها، فقالت: لذة الثواب أشغلتنى عن وجع الأصبع. رحمها الله تعالى.

وكان رجل من الزهاد متزوجاً بامرأة يقال لها جوهرة فقالت له فى بعض الأيام: هل النساء يحلون فى الجنة قال لها زوجها: نعم. فوقعت مغشياً عليها، فلما أفاقت سألها عن ذلك فقالت: خشيت حرمان الآخرة، ثم رأت فى منامها خياما مضروبة فقالت: لمن هذه؟ قيل: للمتهجدين: فكانت بعد ذلك لا تنام من الليل إلا قليلاً وتقول:

أما الخيام فانها كخــيامهم   وأرى نساء الحى غير نسائها.

هلا نظرت أيها العاصى، كيف شغلهم حب الله عن المعاصى، فكيف بك وأنت عاصٍ، هن نساء فبما فُضّلت عليهن أيفعل المعاصى؟!!!

اعلم أيها العاصى أن الأيام دول والذى تفعله أنت اليوم لا بد يوماً مفعول بك غداً.

روى أن امرأة صالحة كان لها زوج يصوغ الحلى ولها رجل سقا يدخل عليها منذ ثلاثين سنة لا ينظر إليها فدخل يوما وقبض على يدها بشدة، فلما جاء زوجها قالت له: هل وقع منك اليوم ذنب، قال لا: غير ان امرأة اشترت منى سواراً فلما

---

(١) الحديث: صحيح، اخرجه مسلم فى صحيحه [٤/ ٢٢٧٢] - كتاب الزهد - ..[٥٣] "ح" [١/ ٢٩٥٦].. والترمذى فى السنن [٤/ ١٤٥] - كتاب الزهد - باب [١٦] "ح" [٢٣٣١] وقال: حديث حسن صحيح. وابن حبان فى صحيحه [٦٨٧]. وقال الإمام النووى - رحمه الله تعالى: معناه أن كل مؤمن مسجون ممنوع فى الدنيا من الشهوات المحرقة والمكروهة. مكلف بفعل الطاعات فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من المنغصات. وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل فى الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد وانظر "رياض الصالحين" برقم [٤٧٠] . بتحقيق الشيخ محمد الذغبى. ط. دار المنار..

رأيت يدها أعجبتنى فقبضت على معصمها بشدة فقالت: دقةٌ بدقةٍ ولو زدت لزاد السقا وقع القصاص وقع القصاص.

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم ... وكيف يطيق النوم جنان هائم

فلو كنت يقظان الغداة لخرقت ... مدامع عينيك الدموع السواجم

بل أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت ... اليك أمور مفظعات عظائم

فلا أنت فى الإيقاظ يقظان حازم ... ولا أنت فى النوام ناج وسالم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

وتشغل فيما سوف تكره غبه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

يغرك ما يفنى وتفرح بالمنـى ... كما غر باللذات فى النوم حالم

لما سمع بعض الملوك بأمر القصاص أراد تجربته فى ابنته وكانت غاية فى الجمال فأمر امرأة فقيرة أن تطوف بها فى الأسواق وهى مكشوفة الوجه وأن لا تمنع منْ تعرض لها بشىء فما مرت بها أحد إلا أطرق رأسهُ ولم يمد نظرهُ إليها حياء منها فلما رجعت وقربت من دار الملك أمسكها انسان فقير وقبلها ثم ذهب فدخلت بها على الملك فسألها عما حصل له فأخبرته، فسجد شكراً لله تعالى وقال: الحمد لله ما وقع منى فى عمرى قط إلا قبلة واحدة فى امرأة وقد قوصصت بها.

أيها العصاة: كأنكم بأيام الشباب قد أبلتها يد المنون وقد أظلكم من فجاءة الموت ما كنتم توعدون، ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات والأرض! إلا منْ شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فكيف بك يا ابن آدم إذا نفخ فى الصور وبعثر ما فى القبور، وحصل ما فى الصدور، وضاقت الأمور وظهر المستور، وخرج الخلائق من القبور، فإذا هم قيام ينظرون، ياله من يوم عظيم فيه الزلزال وسيرت الجبال وترادفت الأهوال وانقطعت الآمال وقل الإحتيال، وخر أصحاب الشمال، وخرجوا من القبور بنفخة الصور يرجفون فإذا هم قيام ينظرون، يوم تزل الأقدام وتتبلد فيه الأفهام ويطول القيام وتظهر الآثام وينقطع الكلام [1].

(١) انظر كتابنا "يوم القيامة بين الحسرة والندامة" - [تحت الطبع] - وفيه كثير من العبر والعظات تتساقط منها العبرات.

هلا تذكرت أيها العاصى هذه الأمور، التى كنت تدور، وكنت تفعلها وأنت مرخى الستور، فهذا هو اليوم الذى فيه تبور، وعليك دائرة الحق تدور.

ورحم الله القائل:

تغسل من الطبع ثوبك وتخشى الناس تنظره

وقلبك أضحى أسود ما تغسله بمتاب

الناس تنظر ثيابك والحق ينظر باطنك

فاغسل ثياب البان تكتب من الأحباب

ياناقص العهد تعلم بأن ربك مطلع

على فعالك وتخشى تعلم بك الأصحاب

وقال آخر:

تذكرت أيامى وما كان فى الصبا

من الذنب والعصيان والجهل والجفا

وكيف قطعت العمر سهوا وغفلة

فاسكبت دمعى حسرة وتلهفا

وناديت من لا يعلم السر غيره

ومن وعد الغفران من كان قد جفا

وعاد إليه من كبار ذنوبه

فجاد عليه بالجميل تعطفا

أغثنى الهى واعف عنى فإننى

أتيت لتيباً مذنباً متلهفا

تحذير إلى العاصى

أحذرك أيها العاصى من أمور لابد أنك ذائقها، وويل لك من مرارتها، فإنها تكف لتحويل الصحيح إلى سقيم من خوف عذاب أليم.

أولا: القبر وظلمته

أيها العاصى هل تذكرت أو تفكرت فى القبر وظلمته. وكيف بك إذا جاءك منكر ونكير وأنت وحدك، ماذا تفعل يا أسير المعاصى؟؟ ذنوبك معك فى عنقك يا ويلك أين المقر كلا لا مفر إلى ربك يومئذ المستقر.

قال الحسن البصرى رحمه الله: أبى الله إلا أن يذل من عصاه فى الدنيا والآخرة بين الناس وما أذنب عبد فى الليل إلا وأصبح ومذلته على وجهه.

وكان الفضيل بن عياض ـ رحمه الله يقول: فى قوله تعالى: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ ضجوا من الصغائر قبل الكبائر.

وقال العوام بن حوشب: أربع بعد الذنب شر من الذنب وهى الاستغفار من إقلاع والاغترار بحلم الله والاصرار والاستبشار بالمغفرة إذا عمل بعده طاعة فقد لا يغفره الله بها.

وكأنى للقبر معاتباً للعاصى فيقول بقول القائل:

يا صاحب الخطايا أين الدموع الجارية؟

يا أسير المعاصى: إبك على الذنوب الماضية.

يا مبارزاً بالقبائح أتصبر على الهاوية؟

يا ناسياً ذنوبه، والصحف للمنسى حاوية، أسفاً لك إذا جاءك الموت وما أنبت واحسرة لك إذا دُعيت إلى التوبة فما أجبت.

قال ذو النون المصرى ـ رحمه الله: مررت يوماً ببعض الأسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة وليس معها أحد فقلت: والله لا أكونن خامسهم لأنال الأجر

والثواب فلما أتوا الجبانة قلت أين ولى هذا الميت فيصلى عليه فقالوا: يا شيخ لكنا فى الأمر سواء ليس منا أحد يعرفه فتقدمت وصليت عليه وأنزلناه فى لحده وحثونا عليه التراب فلما هموا بالانصراف، قلت لهم: ما شأن هذا الميت فقالوا: لا نعرف خبره غير أن امرأة إكترتنا لنحمله إلى هذا المكان وهى لاحقة بنا الآن فبينما نحن فى الحديث إذ جاءت امرأة عليها سيما الخير والصلاح وهى باكية العين حزينة القلب، فلما وقفت على القبر رفعت يديها إلى السماء ودموعها تذرف وظلت تدعو ثم سقطت على الأرض مغشياً عليها ثم أفاقت بعد ذلك وهى تضحك، فقلت لها أخبرينى عن خبرك وخبر هذا الميت وكيف الضحك بعد هذا البكاء الشديد، فقالت من أنت؟ فقلت: ذو النون، فقالت: لولا أنك غريب فى عصرك لما قلت لك هذا ولدى وقرة عينى كان تائهاً بشبابه لم يدع سيئة إلا ارتكبها ولا معصية إلا سعى إليها وطلبها وقد بارز مولاه العلام بالمعاصى والآثام فحصل له يوماً من الأيام ألم من الآلام منذ ثلاثة أيام فلما عاين الموت قال: ياأماه سألتك بالله ألا ما قبلت وصيتى إذا أنا مت فلا تعطى بموتى أحداً من أصحابى ولا اخوانى ولا جيرانى فإنهم لا يرحمون على سوء فعلى وكثرة ذنوبى وجهلى ثم بكى وقال:

لـــى ذنـــوب شغلتنـــى   عن صيامـــى وصـــلاتى
تركـــت جســـمى عليلا   مات من قبل وفـاتـى
ليتنى تت لربـــــــى   من جـميع السيـــآت
أنا عبدك يا إلهـــــى   هائـم فـــى الفلـــوات
بـحـت جهراً بعيوبـى   وذنوبـــــى قاتلاتـــــى
قـــد توالـــت سيآتـــى   وتـــلاشـــت حســـناتـى

ثم بكى وقال: يا أماه آه على ما فرطت فى جنب الله آه على قلبى ما أقساه، بالله عليك يا أماه إذا أنا مت فضعى خدى على الأرض والتراب وضعى قدمك على الخد الآخر وقولى: هذا جزاء عبد عصى مولاه وخالفه وترك أمره واتبع هواه فإذا دفنتينى فارفعى يدك إلى الله عزّ وجلّ وقولى: اللهم إنى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت به جميع ما أوصانى به فلما رفعت رأسى إلى السماء سمعت

صوتاً بلسان فصيح: انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب غير غضبان [1] آه عليك يا عاصي، والله كأني أراك في القبر وحدك وأقول لك بقول يزيد الرقاش [2]:

أيها المقبور في حفرته، المتخلى في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بأعماله، ليت شعري بأي أعمالك استبشرت، وبأي أحوالك إغتبطت.

آه عليك فإن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار [3] والعياذ

---

(١) انظر 'بستان الواعظين' للعلامة ابن الجوزي - رحمه الله -. تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي .ط. دار المنار.

(٢) هو: يزيد بن أبان الرقاش البصري، أبو عمرو الزاهد، وهو متروك عند علماء الحديث. قال النسائي وغيره: متروك. وقال الدارقطني وغيره: ضعيف قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: لأن أزني أحبُ إليّ من أن أحدث عن يزيد بن الرقاش. ثم قال: يزيد ما كان أهون عليه الزنا. وقال الإمام أحمد: إنما بلغنا هذا في أبان ثم قال: كان يزيد منكر الحديث. وقال ابن معين: في حديثه ضعف. وقال الفلاس: ليس بالقوى أنظر 'ميزان الاعتدال' [٦/ ٩٢] برقم [٩٦٦٩] والتهذيب [٣١١-٣٩/١١] وانظر كذلك 'تنبيه الغافلين' [ص/ ٤٣] تحقيق الشيخ/ محمد عبد الملك الزغبي .ط. دار المنار.

(٣) قلت: هذا الكلام لم يصح مرفوعاً لأن إسناده ضعف ولكن المتن صحيح كذا قال الطحاوي رحمه الله تعالى .ومن المعلوم أن الحديث قد يصح سنداً ولا يصح متناً مثال: حديث عبد الله بن يزيد في صفة وضوء النبي ﷺ 'مسح برأسه بماء غير فضل يده' فقد رواه مسلم بهذا اللفظ من طريق ابن وهب، ورواه البيهقي من طريقه أيضاً بلفظ أنه: 'أخذ لأذنيه ماء خلاف الماء الذي أخذه لرأسه' ورواية البيهقي شاذة لأن رواية البيقي عن ابن وهب ثقة لكنه مخالف لمن هو أكثر منه حيث رواه جماعة عن وهب بلفظ رواية مسلم وعليه فرواية البيهقي غير صحيحة وإن كان رواتها ثقات لعدم سلامتها من الشذوذ.

وعلى هذا إذا قال المحدث: هذا حديث صحيح، فأطلق الحكم ولم يقيد الصحة فهذا يدل على صحة الحديث سنداً ومتناً أما إذا قال: صحيح الإسناد، فالظاهر صحة المتن لعدم العلة، وقال شيخ الاسلام: والذي لا أشك فيه أن الإمام منهم لا يعدل عن قوله صحيح إلى قوله صحيح الإسناد إلا لأمر ما ا.هـ.

وعلى النحو الآخر: فقد يكون المتن صحيح والسند ضعيف، وهذا معلوم عن علماء الحديث جميعاً. وقال السخاوي: إذا تلقت الأمة الضعيف بالقبول يُعمل به على الصحيح. .وقال السيوطي - رحمه الله: في شرح 'نظم الدرر' المقبول: ما تلقاه العلماء بالقبول وإن لم يكن له اسناد صحيح. وراجع الأجوبة الفاضلة [ص/ ٢٢٩].

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله: وإن جملة صفات القبول التي لم يتعرض لها شيخنا [يعني العراقي] أن يتفق العلماء على العمل بمدلول حديث فإنه يُقبل حتى يجب العمل به، وقد صرح بذلك جماعة من أئمة الأصول. . . وراجع 'النكت على ابن الصلاح' [١/ ٤٩٥] لابن حجر - رحمه الله تعالى.

وعلى هذا يُفهم مما قاله العلماء أن تلقى الأمة للحديث بالقبول يعتبر تصحيحاً له وإن لم يصح له اسناد. وهذه القاعدة يجب التفطن إليها لأني رأيت ما نقلة الشيخ أبي غدة في تحقيقه على كتاب 'الرفيع والتكميل' عن الشيخ الكوثري - رحمه الله - حيث يقول متعقباً الإمام البخاري - رحمه الله في قوله: =

بالواحد الجبار.

هل رأيت أيها العاصى شخص يحتضر، هل نظرت إليه، وتخيلت نفسك مكانه وروحك روحه، فيالك من مسكين.

وهذا هو الحسن البصرى ـ رحمه الله: يدخل على مريض يعوده وهو فى سكرات الموت، فنظر إلى كربه، وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يا إمام يرحمك الله فقال: يا أهلاه

= لم اكتب إلا عمن قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. [أنظر فتح البارى [١/ ٤٦ـ٤٧] ـ الإيمان] يقول الشيخ معقباً على كلام الإمام: من الغريب أن بعض من يعدونه من أمراء المؤمنين فى الحديث... وإنى لم أخرج فى كتابى عمن لا يرى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص غير ثابت عند النقاد، ولا التفات إلى المتساهلين ممن لا يفرقون بين الشمال واليمين... إلخ".

أقول والله المستعان: كلام كلاً من الكوثرى ـ رحمه الله والشيخ أبى غدة غير صحيح ومخالف لمذهب أهل السنة والجماعة ونأتى بالدليل.

الدليل الأول: يقول الله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله: أى إلى إيمانهم أى بما يشهدون من صدق إخبار النبى ﷺ. أنظر التفسير [٤/ ٥٧٢] ط. دار الفيحاء ـ السلام.

ويقول تعالى: ﴿وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾ قال الحافظ ابن كثير: دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قال جمهور الأئمة: إنه يزيد وينقص، وقد قررنا ذلك فى أول شرح البخارى. . ا. هـ.

أنظر تفسير ابن كثير [٥/ ٤٣٨] ط. دار الأندلس بيروت.

ثانياً: يقول الإمام النووى ـ رحمه الله: والأظهر والمختار أن التصديق [والإيمان لغة التصديق] يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهه

ثالثاً: قوله ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» وفى رواية «بضع وستون» صحيح. أخرجه البخارى [١/ ٥١]. ومسلم [٢/ ٦].

وراجع شرح هذا الحديث للعلامة ابن القيم فى كتابه "الصلاة" [ص/ ٢٤ـ٢٥].

أقول لهذا الشيخ أما يكفيك هذا وقد نقل ابن كثير قول الجمهور بقوله: كما قال جمهور الأئمة، فأين أنت من هؤلاء حتى تستخف بالإمام البخارى أنت وشيخك ـ رحمه الله ؟ والله لولا مخافة التطويل فى غير الموضع لصنفت فى هذا العديد من الورقات ولكن حسبنا ما ذكرناه فى الرد على الشيخ أبى غدة عفا الله عنه وعنا بكرمه، ويشهد للحديث الأول حديث «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» وهذا الحديث: حسن، أخرجه أحمد فى المسند [١/ ٦٣-٦٤] وابن ماجه فى السنن [٢/ ١٤٢٦] كتاب الزهد [٣٧] باب [٣٢] "ح" [٤٢٦٧]، والترمذى= فى السنن [٤/ ٥٥٣] ـ كتاب الزهد [٣٧] باب [٥] "ح" [١٣٠٨] وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف، وأخرجه الحاكم وصححه وأنظر "كشف الخفا" [٢/ ١١٨] "ح" رقم [١٨٥٢] وحسنه الشيخ الألبانى. وراجع المشكاة برقم [١٣٢] وصحيح الجامع برقم [١٦٨٤].

عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت اليوم مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه. ولما حضرت الوفاة معاوية بن أبى سفيان قال: اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل عثرتى واغفر ذلتى وعد بحلمك على جهل من لم يوثق بأحد سواك ولم يرج غيرك ثم بكى حتى علا نحيبه - رضى الله فهل نظرت أيها العاصى إلى هذه المواعظ علَّ قلبك يرق ولسانك يذكر الله.

وكان ابن الدستوائى - رحمه الله تعالى إذا خرج إلى زيارة القبور وقف يبكى ويعود إلى بيته ولا يسرج فيه سراجاً لمدة ثلاثة أيام ويمكث فى الظلام فقال له الناس: ولما ذلك ؟ قال: تخيلت نفسى فى ظلمة القبر وحدى. رحمه الله تعالى.

هاهم العلماء يخافون وأنت أيها العاصى لا تخاف، يا مطلقاً نظره فى الشهوات، يا مستبيحا للشهوات يا مغرور باللذات الفانيات، هلا اعتبرت بأقوام أخرجوا من ديارهم وقد تمسكوا بحبل إغترارهم ولم يقبل منهم قول فى رعتذارهم عندما نادى المنادى "أنذرهم" قل للمؤمنين يتقوا ربهم.

مصدق القائل:

أنا مشغـــــول بذنبـــــى	عن ذنـــــوب العالمينـــــا
وخطـــايـــا أثقلتنـــــى	تركـــت قلبى حزينـــــا
صرت فى الأرض وحـــــيدا	فى جوار الهالكينـــــــا
بعد مــــا كنـــت جليلا	فى عيـــــون الناظرينـــا
صرت فى ظلمة قبــــرى	ثاويا فيـــــها رهينـــــا
وتركت المـــال والأهـــــل	لعــــمرى والبنينـــــا
ولقـــد عمـــرت دهـــــراً	وشهـــــورا وسنينـــــا
فى نعيـــــــم وســــرور	فوق وصـــــف الواصفينا
وملكـــت الشرق والـــمغرب	وكـــــان الملـــك فينـــــا
وفتحـــــت المـــدن قـــهرا	وغلـــــبت الغالبينـــــا

فأتى المـــــوت علينـــــا ... بعـــــد هـــذا ففنينـــــا

أيهـــا المغـــو بـــادر ... لثـــواب الصالحـــين

الذى صـــح لدينـــــا ... وعلمنـــــــاه يقيـــــنا

ان حيا ليس يبقيـــرور بـــادر ... غـــــير رب العالميـــــنا

قال أبو سليمان الدارانى - رحمه الله تعالى: قُلتُ لأم هارون العابدة أتحبين ان تموتى قالت: لا قلت، ولم؟ قالت: والله لو عصيت مخلوقاً لكرهت لقاءه فكيف بالخالق جلّ جلاله.

وقال سليمان بن عبد الملك لأبى حزم: يا أبا حزم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب، قال: يا أبا حازم كيف القدوم على الله تعالى؟ قال: يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتى أهله فرحاً، وأما المسىء فكالعبد الآبق يأتى مولاه خائفاً محزوناً وكان بعض السلف يمشى مع أصحابه فعندما أمر على مكان ما إحمر وجهه، وعرف جبينه، فقالوا له ولما ذلك؟

قال: لقد تذكرت والله ذنباً فعلته هنا وأنا صغير رحم الله السلف آمين.

ورحم الله القائل:

وكيف يلذ العيش من هـــو عالم ... بأن اله الخـــلق لابـد سائلـــه

فيأخذ منه ظلمـــــه لعبـــــاده ... ويجزيه بالخـــير الذى هو فاعله

وكيف يلذ بالعيش من كان حـــائزا ... إلى لحد[1] قبر فيه تبلى شمائله

ويذهب رسم الوجه من بعد وضوئه ... قريبا ويبلـــى جسـمه ومفاصله

---

(١) اللحد: هو الشق فى عرض القبر جانب القبلة، والشق: هو الضريح، وهو الشق فى وسط القبر، وفى الحديث «اللحد لنا والشق لغيرنا» أخرجه ربو داود [٣/ ٥٤٤] كتاب الجنائز ـ(١٥) "ح" [٣٢٠٨]، والترمذى [٣/ ٣٦٣] ـ كتاب الجنائز [٨] "ح" [١٠٤٥] وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه" وابن ماجه [١/ ٤٩٦] ـ كتاب الجنائز [٦] "ح" [١٥٥٤] والنسائى [٤/ ٨٠] والبيهقى فى "الكبرى" [٣/ ٤٠٨] وصححه الألبانى [ص،ج [٥٤٨٩].

ثانياً النار وأهوالها

يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ :

يا أيها الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك، فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا . ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك، فاستشعر فى قلبك ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفاً ينظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأطلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البراء من سوء المقلب، وخرج النادى من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره فى سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ فاسكنوا دار ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، أمانيهم فيهم الهلاك، وما لهم منها فكاك[1].

أيها العصاة: ما الذى أعددتم من حلاوة الطاعة لتجرع مرارة الموت وما الذى قدمتموه من زاد التقوى قبل حلول الفوت وما الذى حجب أسماع الغافلين عن سماع الصوت يا من خلا بالمعاصى ليتك ما خلوت كم ينادى الغافلين منادى المواعظ فلا يستجيبون وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون.

قال إبراهيم التيمى ـ رحمه الله: مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها، ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من

(١) أنظر "إحياء علوم الدين" بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله ـ ط. دار المنار ـ.

صديدها ثم قلت لنفسى: ما تريدين؟ قالت: أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قلت: فأنت فى الأمنية فاعملى.

أتصبر أيها العاصى على نار جهنم وقد قال ﷺ: «ناركم جزء من سبعين جزء من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فإنها فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهنّ مثل حرّها»[1].

أيها العصاة أما تعتبرون بهذه الأحوال أما تشفقون من نار جهنم والأنكال، أما تحذرون سلاسلها والأغلال واعجباه لمن كان فى الجنة فى ظهر أبيه كيف يدخل ناراً وقودها الناس والحجارة.

وصدق القائل:

إذا برزت ليوم العرض نار	لها الناس الوقود مع الحجارة
يفر المرء حقا من أخيه	وينكر فى المعاد من استزاره
فلا الخل الحميم يغيث خلا	ولا الجار المجير يجير جاره
وقد برز الجليل لفصل حكم	ونشرت الصحائف مستطارة
فيفتضح المسىء بقبح فعل	ومن بك محسنا فله البشارة

وقال إبراهيم ابن أدهم كان إبراهيم التيمى - رحمه الله: يبول فى صحن داره فخرج ليلاً من حجرته ليبول فيه فلم يزل شاخصاً إلى الصباح فقيل له فى ذلك؟ فقال: لما أردت أن أبول تذكرت أن أهل النار وما هم فيه لم يزالوا يعرضون على بسلاسلهم وقيودهم إلى الصباح فلم يأخذنى نوم.

هل نظرت أيها العاصى إلى حرارة الشمس ونارها وكان داود يقول فى أيام الحر: الهى لا صبر لنا على حر شمسك فكيف نصبر على حر نارك وقال رسول الله ﷺ: «إشتكت النار إلى ربها وقالت: أكل بعضى بعضاً فجعل لها نفسين: نفساً فى الشتاء، ونفساً فى الصيف، فأما نفسها فى الشتاء فزمهرير، وأما نفسها

---

(١) الحديث: صحيح، اخرجه البخارى فى صحيحه [٦/ ٣٣٠] - كتب بدء الخلق [٥٩] باب [١٠] ح [٣٢٦٥]، ومسلم فى صحيحه [٤/ ٢١٨٤] - كتاب الجنة [٥١] ح [٣٠/ ٢٨٤٣].

فى الصيف فسموم»[1].

وصدق القائل:

سوداء مظلمة شنعاء موحـشة	دهماء محرقة لواحة البشـــر
أعاذنها الله منها ثم عــوضـنا	بجنة الخلد بين الروض والزهر

قال عبد الله بن واسان ـ رحمه الله تعالى: مررت يوماً فى أزقة البصرة فوجدت صبياً يبكى وينتحب فقلت له يا ولدى وما الذى يبكيك، فقال: خوفاً من النار، فقلت: يا ولدى أنت صغير السن وتخاف النار، فقال: يا عم نظرت إلى أمى وهى توقد النار فرأيتها تقدم الحطب الصغار قبل الكبار فقلت لها: يا أماه لم تقدمين الصغار على الكبار؟؟! قالت: يا ولدى ما تشتعل الكبار إلا بالصغار، فهذا الذى أبكانى وهيج لوعتى وأحزانى، فقلت له: يا ولدى هل لك فى صحبتى فتتعلم ما ينفعك فقال: على شرط ان قبلته فانى أصحبك وأتبعك، قلت: وما هو. قال الغلام: ان جعت تطعمنى وان عطشت تسقينى وان ذللت تغفر لى وان مت تحيينى، فقلت له: يا ولدى لا أقدر على ذلك كله فقال: يا عم دعنى فانى على باب من يقدر على ذلك كله.

وأنشد:

منك أرجو ولست أعرف ربــا	أرتجى منه بعض ما منك أرجـــو
واذا اشتدت الشدائد فى الأرض	على الخلق فاستغاثوا وضجــــوا
وابتليت العباد بالخوف والجـــو	ع فصروا على الذنوب ولجـــوا
لم يكن لى ســواك ربى مــلاذاً	وتيقنت أنى بــــك أنجـــــو

أيها العاصى، هل تخيلت نفسك فى النار؟ ! بلاؤها معدوم رجاؤها مظلم مسالكها مبهم مهالكها شراب أهلها الحميم، وعذاب أهلها أبداً مقيم لهم فيها بالويل ضجيج وبالثبور دعاء وعجيج.

---

(1) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى ـ مواقيت الصلاة [٥٢٧] واطرافه فى [٢٧٨٢] [٥٩٧٠] [٧٥٣٤] ومسلم فى الإيمان [٨٥] والنسائى ـ مواقيت [٦٠٩]، وابن ماجه [٤٣١٩٨] ـ الزهد، وابن أبى شيبة فى "المصنف"[١٣/ ١٥٨]والترمذى[٤/ ١٠٦٢]وقال: حسن صحيح، وابن حبان فى "صحيحه" [١٦/ ٧٤٦٦] والبيهقى فى "الكبرى"[١/ ٤٣٧]ومالك ـ [٢٧] موطأ، والبغوى[٣٦١]والدارمى[٢/ ٤٣٠].

وقال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه»(١).

وقال رسول الله ﷺ: فى قوله تعالى ﴿كالمهل﴾ أى كعكر الزيت، فإذا قُرِّب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: فى ﴿وهم فيها كالحون﴾: تشويه النار يتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته»(٣).

وعن النعمان بن بشير أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار فما زال يقولها حتى لو كان فى مقامى هذا سمعه أهل السوق، وحتى سقطت قميصه كانت عليه عند رجليه»(٤).

كيف بك أيها العاصى، ورسول الله ﷺ يدعوك فلا تجيبه بل تعرض عنه، كيف تلقاه يوم القيامة حين يقول لك: أأنا أمرتك بفعل هذا؟؟! فوالله كأنى بلحمك يتهرى من فوق عظمك حياءاً منه ﷺ وأنظر إلى هذا القول.

قال الحسن البصرى - رحمه الله تعالى: مساكين قتلة الحسين - رضى الله عنه ولو دخلوا الجنة بفضل الله تعالى كيف يتجرأ أحدهم أن يمر بالنبى ﷺ وقد قتل

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه الترمذى فى السنن [٤/ ٧٠٦ـ٧٠٧] - كتاب صفة جهنم [٤٠] «ح»[٢٥٨٥] وقال: حسن صحيح: وأحمد فى المسند [١/ ٣٠١ـ٣٣٨] وابن ماجه فى السنن [٢/ ٤٤٦] - كتاب الزهد [٣٧] «ح» [٤٣٢٥] والحاكم فى «المسند» [٢/ ٢٩٤] وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأقره ووافقه الذهبى، وفى «موارد الظمآن» [٦٤٩/ «ح» ٢٦١١]: المزى فى التحفة [٥/ ٢١٨ـ٢١٩] «ح»[٦٣٩٨]. وصححه الشيخ الألبانى. وراجع صحيح الجامع برقم [٥٢٥٠] وفى المشكاة برقم [٥٦٨٣].

(٢) الحديث إخرجه أحمد فى المسند [٣/ ٧٠ـ٧١] والترمذى فى السنن [٤/ ٧٠٤] - كتاب صفة جهنم [٤٠] "ح"[٢٥٨٤] وفى [٥/ ٤٢٦] كتاب تفسير القرآن [٤٨] "ح" [٣٣٢٢] والحاكم فى المستدرك [٤/ ٦٠٤] وقال: صحيح الإسناد. وأقره ووافقه الذهبى. وابن حبان فى صحيحه وذكره الهيثمى فى "موارد الظمآن" [٦٤٩/ ،ح"(٢٦١٢] وابو يعلى فى "المسند" [٢/ ٥٢٠]"ح" [١٣٧٥/٤٠١] قُلتُ. وفى إسناده رشد ابن سعد. قال أحمد: حديثه منكر. قال النسائى: ليس بالقوى - منكر الحديث. وكذا قال أبو حاتم. وراجع "التهذيب[٣/ ٢٤٠و١٨١] - وإلى هذا أشار الترمذى - رحمه الله وجزاه الله عنا.

(٣) الحديث أخرجه أحمد فى المسند [٣/ ٨٨] والترمذى فى السنن [٤/ ٧٠٨] - كتاب جهنم [٤٠]"ح" [٢٥٨٧] وفى [٥/ ٣٢٨] - تفسير القرآن [٤٨] "ح" [٣١٧٦] وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم فى المستدرك [٢/ ٢٤٦] وقال: صحيح الإسناد، وأقره ووافقه الذهبى. وأبو يعلى[٣٩٣/ ١٣٦٧].

(٤) الحديث أخرجه الدارمى فى السنن [٢/ ٢٣٠] وأحمد فى المسند [٤/ ٢٦٨ـ ٢٧٢]

ولده [على سبيل التقريب] والله لو أن لى مدخلاً فى قتله وخيرت بين الجنة والنار لأخترت النار خوفاً من أن ينظر النبى ﷺ إلىّ فى الجنة نظرة غضب تؤذينى وتؤذيه.

هل تجد فى نفسك أيها العاصى تتحمل جهنم أعاذنا الله منها.

كان بعض السلف كلما راودته نفسه إلى المعصية يقول لنفسه سوف أطيعك إذا صبرت ويضع أصبعه على النار فيصرخ فيقول لنفسه: لم تصبر على هذه النار فكيف بنار جهنم.

ويحك أيها العاصى حينما تأتى يوم القيامة بأوزار كثيرة، وتشهد عليك الأرض والجوارح بما كنت تفعل، وكنت عن هذا من الغافلين فحويك من رب العالمين.

كان أبو المليح - رحمه الله: إذا ذكر الله يحصل له طرب ويقول: انما طربى بذكر الله تعالى لى فانه سبحانه يقول: ﴿**فاذكرونى أذكركم**﴾ وكان اذا مشى فى طريق وهو غافل عن ذكر الله رجع ثانياً وذكر الله فيها ولو مرحلة يقول: أحب أن تشهد لى البقاع التى أمر فيها كلها يوم القيامة.

فانظر لنفسك أيها العاصى لا تقدر أن تذكر الله وأنت مصر على المعاصى، أنظر يذكره الصالحون ويغفل عنه العاصون.

يقول عطاء السلمى - رحمه الله: لا ينبغى لمن ظلم نفسه أن يذكر الله تعالى إلا بعد التوبة والإستغفار فإن الله تعالى يلعن الظالم إذا ذكره ما دام مصراً. اهـ.

فهل ينجى من النار إلا رب النار، فيالك من شقى بعدت عن الأبرار وصاحبت الفجار، فمصيرك بإذن الواحد الجبار، ونعوذ بالله من هذا البوار.

ورحم الله القائل:

يا ذا الذى قد نام وهنا أو غفا	ماذا يفوت النائمين من الوفـــا
قم يا غفولا عن وصال حبيبه	أجر الدموع على الخدود تأسفا
واسمع ودع عنك التكلف إنه	ما طاب من أضحى هواه تكلفا

لى بالعقيق وبين جرعاء الحمى		بدر رشيف القد أسمر هيفـــا

وصدق القائل:

أما سمعت باكباد لهم صعـــدت		خوفاً من النار فانحطت إلى النار

أما سمعت بضيف فى مجالسهم		ولا قرار لهم يا صاح فى النار

أما سمعت بحيات تدب بـــهـــا		اليهم خلقت من مارج النـــار

فيا الهى باحكام وما سبقـــت		به قديماً من الجنات والنـــار

أدعوك أن تحمى العبد الضعيف فما		للعبد من جسد يقوى على النار

والشمس مالى عليها قط من جلد		فكيف يصبر ذو ضعف على النار

قال محمد بن السماك ـ رحمه الله:

وصف لى عابد فسرت إليه لأزوره فوجدته فى بيت وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيرة يصلح خوصاً بين يديه فسلمت عليه فرد على السلام رداً ضعيفاً ثم قال من أنت؟ فقلت محمد بن السماك قال: الواعظ، قلت: نعم، فألقى الخوص من يده وقال يابن السماك إن الواعظ من المستمع بمنزلة الطبيب من العليل فاعرض على شيئاً من وعظك فقلت له: يا شيخ أما تخشى من أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى، ثم كم بين يديك من شدة وأهوال وكربة وأنكال فأولها ظلمة النشر ثم ظلمة الحشر ثم ظلمة الصراط ثم وزن الأعمال ثم قطع الآمال ثم سطوة الملك المتعال، فبكى بكاء شديداً وقال لى: يا ابنَ السماك زدنى وما بعد ذلك، قلت: حمل الأوزار والورود على النار وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار، فصاح صيحة عظيمة ثم سقط فى قبره فخرجت إليه عجوز كبيرة وجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول: طالما سهرت هاتان العينان فى طاعة الرحمن، وطالما بكتا من خشية الله، ثم حركناه إذا به قد مات. رحمه الله تعالى، ثم رجعت إلى منزلى وقد صغرت عندى نفسى[1].

(١) أنظر "الجامع المتين فى شتى أمور الدين" تأليف الشيخ محمد عبد الملك الزغبى. ـ حفظه الله، وكذلك كتابنا "القيامة بين الحسرة والندامة"

وصدق القائل:

إلى كم ذا التراخى والتمادى ... وحادى الموت بالأرواح حادى

فلو كنا جماداً لا تعظنا ... ولكنا أشد من الجماد

تنادينا المنية كل وقت ... وما نصغى إلى قول المنادى

وأنفاس النفوس إلى انتقاص ... ولكن الذنوب إلى ازدياد

اذا ما الزرع قارنه اصفرار ... فليس دواؤه غير الحصاد

كأنك بالمشيب وقد تبدى ... وبالاحرى مناديها ينادى

وقالوا قد قضى فاقروا عليه ... سلامكمو إلى يوم التناد

فهل تتحمل أيها العاصى هذه النار والمآسى، فكم فيها من جبار وقاسى، يصرخون فيها صُراخ الحيارى لا تعرف صوت الضعيف من الجبار القاسى، فكلهم يعانون المآسى، فيا ويلك يا عاصى هذا ما كسبته من المعاصى فأصبر إذن على المآسى.

ثالثاً: خاتمة السوء

وعن حمزة بن عبد الله قال: شهدت أبا بكر الشاشى عند موته فقلت له كيف حالك قال: كسفينة تدور على الغرق فلا أدرى أأنجو بالسلامة وتأتى الملائكة بالبشارة أن لا تخافوا ولا تحزنوا أم تغرق السفينة وتأتى الملائكة تقول: لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً أى بعدًا بعدًا فلا تصلح لنا يا خبيث؟؟؟

فالأول موطن السعادة والثانى موطن الشقاوة، وهو موطنك أيها العاصى ربك على ظلام قلبك فلا يضىء اذا بكى السحاب على الربا تبسمت ويحك تقول أنا تائب وتتوقف لتنهض ويبادر خلاف خيرا فات اذا صدق التائب فى توبته تاب الله عليه.

ويقول ابن الجوزية - رحمه الله: فكيف يوفق بحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه، وكان أمره فُرطا؟ فبعيد من قلبه الله تعالى غافل عنه، متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته، مشتغلة بمعصيته، أن يوفق للخاتمة بالحسنى.

قال القرطبى: روى أن مؤذناً أذن فى منارة أربعين سنة فصعد يوماً وأذن حتى بلغ قوله حى على الفلاح فوقع بصره على امرأة نصرانية فذهب عقله وأخذت بمجامع قلبه، فترك الأذان وذهب إليها وخطبها فقالت: مهرى ثقيل عليك، فقال: وما هو؟ قالت: تدخل فى دينى وتترك دين الاسلام فكفر بالله ودخل فى دينها فأعتلى السطح فى اليوم المحدد لأمر ما فزلت رجله فوقع من فوق الدار فمات فلا هو بها نال ولا بالإسلام فاز وخسر الدنيا والآخرة نعوذ بالله من سوء الخاتمة وشر العاقبة[1].

لقد كان الضحاك بن مزاحم - رحمه الله يبكى كل ليلة عند الغروب حتى تبتل لحيته ويقول: إنى أخاف أن يكون قد صعد من عملى فى هذا اليوم ما يسخط

(1) انظر "التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة" - تحقيق أخينا الشيخ أحمد عبد الملك الزغبى - [تحت الطبع]، و"الفتنة والدولة" تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبى. وكذا .الروض [ص/ ١٠-١١] و"الجامع الحسن فى هدى أمور الدين" تأليف الشيخ محمد عبد الملك الزغبى.

الله.

هل آمنت مكر الله يا عاصى قد يأتيك الموت بغتة وأنت عنه لاهى، فماذا تقول اذا رأيت الدواهى؟؟!!!!

خرج سفيان الثورى[1]. رحمه الله إلى مكة حاجاً فكان يبكى من أول الليل إلى آخره فى المحمل فقال له شيبان الراعى: يا سفيان لم بكاؤك ان كان لأجل المعصية فلا تعصيه، فقال سفيان: أما الذنوب فما خطرت ببالى قط صغيرها ولا كبيرها وليس بكائى يا شيبان من أجل المعصية ولكن من خوف الخاتمة لأنى رأيت شيخاً كبيراً كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة وجاور بيت الله الحرام سنين فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات إلى الشرق كافراً فما أخاف إلا من سوء الخاتمة فقال له: ان ذلك من شؤم المعصية والإصرار على الذنوب فلا تعص الله طرفة عين.

ورحم الله القائل:

واخجلة العبد من احسان سيده	واحيرة القلب من الطاف معناه
واحسرة الطرف كم يرنو لخائنه	من المآثم لا يرضى بها الله
فكم أسات فبالإحسان عاملنى	واخجلتى واحيائى حين ألقاه
وكم له من أياد غير واحدة	وافت إلى تربتى أنه الله
بلطفة وبفضل منه عرفنيا	فى حبه كيف أرجوه وأخشاه
نفس كم بخفى اللطف عاملنى	وقد رآنى على ما ليس يرضاه
يا نفس توبى من العصيان وانزجرى	فقد كفى ما جرى لى حسبى الله

وكان شقيق البلخى - رحمه الله يأمر أصحابه بالتهيؤ كل وقت للموت

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى أبو عبد الله الكوفى. قال شعبة: سفيان أمير المؤمنين فى الحديث. وقال الذهبى - رحمه الله: الحجة الثبت، متفق عليه، مع أنه كان يدلس عن الضعفاء، ولكن له نقد وذوق، ولا عبرة لقول من قال: يدلس ويكتب عن الكذابين. توفى سنة ١٦١هـ. وراجع ترجمته فى اللباب [١/١٩٨] وتاريخ بغداد [٩/١٥١] وطبقات الحفاظ [ص/٩٥] وتذكرة الحفاظ [١/٢٠٣] والتهذيب [٤/١١١] وميزان الإعتدال [٢/٣٥٩] برقم [٣٣٢٢] ط دار الفكر. بيروت.

ويقول: ربما يتهيأ الواحد منا خمسين سنة للموت ولايصح له تهيؤ إنما التهيؤ لمن زهد فى الدنيا لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وقال رجل لمحمد بن سيرين ـ رحمه الله أوصنى: فقال: لاتحسد أحد فإنه أن كان من أهل النار فكيف تحسده على دينا فانية سيصير بعدها إلى النار وإن كان من أهل الجنة فاتبعه فى أعمالها واغبطه عليها فإن ذلك أولى من حسدك على الدنيا.

وقال بشر الحافى ـ رحمه الله: لقد أدركنا الناس ولهم أعمال صالحة كالجبال ومع ذلك كانوا لايفترون وأنتم لا أعمال لكم ومع ذلك تغترون والله أن أقوالنا أقاول الزاهدين وأعمالنا أعمال الجبابرة والمنافقين .

أيها العاصى انظر إلى هذا الموقف القاسى الذى يُبين المآسى التى تأتى على العاصى فى خاتمته:

قال منصور بن عمار ـ رحمه الله تعالى: كان لى أخ فى الله يعتقدنى ويزورنى فى شدة ورخاء وكنت أراه كثيرة العبادة والتهجد والبكاء ففقدته أياماً فقيل لى هو ضعيف [مريض] فسألت عن دواء فأتيت الباب فطرقته فخرجت إلى ابنته فقالت: من تريد، فقلت: فلاناً، فدخلت واستأذنت لى ثم عادت وقالت: ادخل فدخل فوجدته فى وسط الدار وهو مضطجع على فراش وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه، فقلت له وأنا خائف: يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إلى شزراً وغشى عليه، فقلت له ثالثاً: يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله ولئن لم تقلها ما غسلتك ولاكفنتك ولاصليت عليك، ففتح عينيه وقال: يا أخى يامنصور هذه كلمة حيل بينى وبينها. فقلت: لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قلت له: يا أخى أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام فقال: يا أخى كل ذلك كان لغير وجه الله إنما كنت أفعل ذلك ليقال عنى وأذكر به وكنت أفعل ذلك رياء الناس فإذا خلوت بنفسى أغلقت الباب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت ربى بالمعاصى ودمت على ذلك مدة فأصابنى مرض أشرفت على الهلاك فقلت لابنتى هذه ناولينى المصحف ففعلت فأخذته فجعلت أقرأ فيه حرفاً حرفاً حتى انتهيت ثم قلت اللهم بحق ما فى هذا القرآن العظيم إلاما شفيتنى وأنا أعود لاأعود إلى الذنب أبداً، ففرح الله عنى فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه

من اللهو واللذات والزهو وأنسانى الشيطان العهد الذى كان بينى وبين ربى وبقيت على ذلك مدة من الزمان فمرضت مرضاً أشرقت فيه على الموت فأمرت أهلى فاخرجوتى إلى وسط الدار على عادتى ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه ثم رفعت طرفى إلى السماء وقلت: اللهم بحرمة ما فى هذا المصحف الكريم من كلامك القديم إلا ما فرجت عنى ولت أعود للمعصية، فاستجاب الله لى وفرج عنى ثم عدت إلى ما كنت عليه من الهوى والغى فوقعت فى هذا المرض فامرض أهلى فاخوجونى إلى وسط الدار كما ترانى ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لى حرف واحد فعلمت أن الله تعالى قد غضب علىّ فدعوت الله ولكن لم يستجيب لى أبداً، قال منصور: والله ما خرجت من عنده إلا وعينيى تسكب العبرات فما وصلت إلى الباب إلاوقد قيل لى فلان مات، فنسأل الله أن يرزقنا حسن الخاتمة فكم من نفس مكر بها بعد أن كانت صائمة قائمة.

وصدق القائل:

تتوب من الذنوب إلى مرضتا	وترجع للذنوب إذا برئتا
إذا ما الضر مسك أنت باك	وأخبث ما يكون إذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها	وكم كشف البلاء إذا بليتا
وكم غطاك فيذنب وعنه	مدى الأيام جهراً قد نهيتا
أما تخشى بأن تأتى المنايا	وأنت على الخطاي قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد فضلا	عليك ولا أرعويت ولاخشيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهداً	وأنت لكل معروف نسيتا
فدارك قبل نقلك عن ديارك	إلى قبر إليه قد نعيتا

وكان محمد بن واسع يقول لأصحابه: قد غرقنا فى الذنوب ولو أن أحداً منكم يجد منى ريح الذنوب لما استطاع أن يجلس إلىّ.

وكان إبراهيم بن أدهم يقول: لأن أدخل النار وقد أطعته أحب إلىّ من أدخل الجنة وقد عصيته ولما طعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه قالوا له: أنا لنرجوا أن لاتمسك النار فقال: والله أنكم لجاهلون أنى لأخشى أن أصير فحمة من فحم جهنم ودخل عليه جماعة وهو مطعون قالوا له: استخلف ولدك عبد الله بعدك

فإنه عبد صالح فقال: أما يكفى من آل الخطاب واحد يأتى يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه يقول ﷺ: «**إن قلوب بنى ادم بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يُصرفه كيف يشاء. ثم قال: اللهم مُصرِّف القلوب صرف قلوبنا على طاعتكَ**»[1].

ويقول ﷺ: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»[2].

روى أن أخوين كان أحدهما عابداً والآخر مسرفاً على نفسه فتمنى العابد يوماً أن يفعل المعصية وقال فى نفسه: يا أسفاً علىَّ ضيعت من عمرى أربعين سنة فى حصر نفسى سوى أنزل مع أخى وانغمس فى اللذات ثم أتوب بعد ذلك، وقال المسرف لنفسه: قد أفنيت عمرى فى المعصية وآخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لأتوبن وأصعد إلى آخى وأوافقه فى العبادة ما بقى من عمرى فلعل الله يغفر لى فطلع على نية التوبة ونزل أخوه على نية المعصية فنزلت رجله فوقع على أخيه فماتا جميعاً فى السلم فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف على نية التوبة»[3].

أنظروأيها العصاة: فرغوا قلوبكم للاعتبار فيما يجرى فى الليل والنهار كم من بعيد قرب وكم من قريب أبعد وجفاه الأهل والجار وكان حظ الأول الجنة وحظ الثانى النار فاعتبروا يا أولى الأبصار ندم العابد على تغير نيته بلاشك وخفا

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه مسلم فى صحيحه [٤/ ٢٤٥] - كتاب القدر [٤٦] باب [٣٠] «ح» [١٧/ ٢٦٥٤] وغيره.

(٢) الحديث: صحيح، وهو جزء من حديث طويل أخرجه البخارى فى صحيحه [١١/ ٤٩٩] - كتاب القدر [٨٢] باب الأعمال بالخواتيم [٥] «ح» [٦٦٠٧]، ومسلم فى صحيحه [١/ ١٠٦] - كتاب الإيمان [١] باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه [٤٧] «ح» [١٧٩/ ١١٢].

(٣) قلت: فى هذا الخبر أمران الأول: أن هذا خبر إسرائيلى وقال الحافظ ابن كثير: تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاث أقسام. أحدها: ما علمنا صحته فذاك صحيح. الثانى: ما علمنا كذبه فلاتقبله الثالث: ما هو مسكوت عنه لامن هذاالقبيل ولامن هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته كما تقدم... وراجع تفسير ابن كثير [١/ ٤] ط. دار الغد. وراجع كتاب «التوابين» - بتحقيقى. ط دارالمنار. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا لاعتقاد. وراجع مقدمة فى أصول التفسير [ص/ ٤١-٤٢].

الأمرالثانى: أن هذا الخبر ورد بنحوه حديث مرفوع ولكن فيه أن العابد حكم على الأخر أن الله لايغفر له أبداً، أخرجه أحمد فى المسند [٢/ ٣٢٣] وأبوداود فى السنن [٥/ ٢٠٧-٢٠٨] كتاب الأدب [٣٥] باب فى النهى عن البغى [٥١] «ح» [٤٩٠١] وكذلك البغوى فى «شرح السنة» [١٤/ ٣٨٤-٣٨٥] «ح» [٤١٨٧].

ويبكى على تفريطه بعد عبادته إذ زل وهفا يود أن صافى وده يرد ويرجع إلى الوفا وسيعلم أنه بنى على شفا جرف هار فاعتبروا يا أولى الأبصار.

وصدق القائل:

أناس أعرضوا عنا بلا جرم ولا معنى
أساؤا ظنهم فينا فهلا أحسنوا الظنا
فإن عادوا لنا عدنا وإن خافوا فما خنا
وإن كانوا قد استغنوا فإنا عنهما أغنى

ويقول العلامة ابن القيم الجوزية: ولقد قطع خوف الخاتمة ظهورالمتقين، وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعاً بالأمان: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ . سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٣٩، ٤٠][1].

قال الربيع: قيل لرجل ها هنا بالبصرة يافلان قل: لا إله إلاالله فجعل يقول:

يارُبَّ قائلةٍ يوماً وقد لغبت أين الطريق إلى حمام منجاب

وهذا الكلام له قصة، وذلك أن رجلاً كان واقفاً بإزاء داره، وكان بابه يشبه باب حمام منجاب فمرت به جارية لها منظر وهى تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال لها: هذا حمام منجاب وأشار إلى داره فدخلت الدار ودخل وراءها، فلما رأت نفسها معه فى داره وليس بحمام علمت أنه خدعها فأظهرت له البشر والفرح بإجتماعها معه على تلك الخلوة وفى تلك الدار وقالت له: يصلح معنا ما نطيب به عيشنا وتقر به أعيننا فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وبكل ما تشتهين، فخرج وتركها فى الدار ولم يقفلها، وتركها مخلاة على حالها ومضى، فأخذ ما يصلح لهما ورجع، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثراً، فهام الرجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها وجعل يمشى فى الطرق والأزقة وهو يقول:

يارب قائلة يوماً قد لغبت أين الطريق إلى حمام منجاب

---

(١) انظر «الداء والدواء» تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الذغبى. حفظه الله. ط. دار المنار - فياض.

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهى تقول:

هلاّ جعلت لها لما ظفرت بها   حرزاً على الدار أو قفلاً على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر فنعوذ بالله من المحن والفتن(١).

وروى ابن المبارك(٢) وسفيان عن ليث عن مجاهد قال: ما من ميت إلاتعرض عليه أهل مجالسه الذين كان يجالس، إن كنّ أهل لهو فأهل لهو، وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر(٣).

وقال القرطبى ـ رحمه الله: ومثل هذا فى الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم بها أو سبب من أسبابها، حتى لقد حكى لنا أن بعض السماسرة جاء عنده الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: ثلاثة ونصف أربعة ونصف. غلبت عليه السمسرة.

ولقد رأيت بعض الحُساب وهو فى غاية المرض، يعقد بأصابعه ويحسب، وقيل لآخر قل: لا إله إلا الله فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا والحان الفلانى اعلموا فيها كذا. وقيل لآخر قل: لا إله إلا الله فجعل يقول: عقلك الحمارة وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله فجعل يقول: البقرة الصفراء غلب عليه حبها والإشتغال بها.

ولقد روى ابن ظفو فى كتاب النصائح له قال: كان يونس بن عبيد ـ رحمه الله تعالى ـ بزازاً، وكان لايبيع فى طرفى النهار ولا فى يوم غيم، فأخذ يوماً ميزانه فرضه بين حجر بن فقيل له: هلا أعطيته الصانع فأصلح فساده؟ فقال: لو علمت فيه فساداً كما بقيت من مالى قوت ليلة، قيل له: فكم كسرته؟ قال:

---

(١) أنظر هذا الخبر فى «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» [ص/ ٤٠-٤١] ط. دار الكتب العلمية. بيروت، وكذا فى «الداء والدواء» للعلامة ابن الجوزية. وكذا فى «الجامع المتين فى شتى أمور الدين» للشيخ محمد عبد الملك الذغبى. وفى كتاب «العاقبة» لأبى محمد عبد الحق. كما ذكر ذلك القرطبى ـ رحمها الله

(٢) ابن المبارك هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم أبو عبد الرحمن المروزى. قال ابن معين: كان ثقة عالماً مثبتاً صحيح الحديث. وهو صاحب كتاب «الزهد والرقائق» وراجع ترجمته فى تاريخ بغداد [١٠/ ١٥٢] والعبر [١/ ٢٨٠] وتذكرة الحفاظ [١/ ١٧٤] واللباب [١/ ٣٣٤] وطبقات الحفاظ [ص/ ١٢٣] للسيوطى، والحلية [٨/ ١٦٢] لأبى نعيم ـ رحمه الله تعالى.

(٣) أنظر «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» [ص/ ٤٠] ط. دار الكتب العلمية. بيروت.

حضرت الساعة رجلاً احتضر فقلت له: قل: لا إله إلا الله فامتعض، فألحت عليه فقال: ادع الله لي فقال: هذا لسان الميزان على لسان يمنعني من قولها. قلت: أفما يمنعك إلا من قولها؟ فقال: نعم. قلت: وما كان عملك به؟ قال: ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقاً في علمي، غير أني كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره، فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أنيأتي بميزان ويزيد بيده وإلا لم يبايعه.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله فجعل يهذى بالغناء، ويقول تاتنا تنتنا.

ويقول ابن الجوزية: رحمه الله: أخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته، فجعل يقول: لله فلس. فلس لله. حتى قضى.

وقال بعض التجار حين لقنوه [في حالة الاحتضار] يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشترى جيد، هذه كذا - حتى قضى.

يا أيها المذنب قم واعتذر	وتب من الذنب وكسب الآثام
إلى متى أنت ترى غاديا	ورائحاً في اللهو وطوع الغرام
أتب إلى الله وتب واستقم	من قبل أن تشرب كأس الحمام

أيها العصاة كيف بكم أيها الغافلون وقد نظر العارفون بعين البصائر، وعمل كل منهم لما هو إليه صائر هجروا المنام وقاموا في الدياجي الدياجر وغسلوا الوجوه بدموع المحاجر، فازعجهم ما يتلونه في القرآن من الزواجر.

يا أيها العاصي سبقك أهل العزائم، وأنت في الغفلة نائم، قف على الباب وقوف نادم، ونكس رأس الذل وقل عبد ظالم، وناد في الأسحار أنا المذنب الهائم، وقد جئت أطلب العفو والمراحم وتشبه بالقوم وإن لم تكن منهم فزاحم، قل لنفسك أيها العاصي بقول القائل:

إذا ما قـــال لـــى ربـــى	أما إستحييـــت تعصيـــنى
وتخـفى الذنـــب من خلقـــى	وبالعصيـــان تأتينـــــى
فما قـــولى له لمـــــا	يعاتبنـــــى ويقضيـــــنى

فهيا هيا يا عاصي أقبل على الله واترك المعاصي فستراه رحيما عليك غير قاسي.

علاج المعاصى

أيها العاصى أذكر لك بعض أنواع العلاج بما تيسر لنا من جمعه، ادعو الله العلى القدير أن تصيب الذنوب، فتقطع العيوب، ويغفر لك علام الغيوب.

الأول: قراءة القرآن:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

يقول ابن الجوزية ـ رحمه الله: و «من» هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء كما قال فى الآية المتقدمة، فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب. فلم ينزل الله سبحانه وتعالى فى السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولاأنجح فى إزالة الداء من القرآن.

أيهال العاصى هل جربت يوماً قراءة القرآن؟ هل قرأته أبداً بالليل والناس نيام؟ والله لو فعلت ذلك لوجدت فيه ما يغطى الاثام ويقطع العاصى عن المعاصى[1].

يقول منصور بن عمار ـ رحمه الله تعالى: حججت حجةً، فنزلت سكة من سكك الكوفة. فخرجت فى ليلة مظلمة فإذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل وهو يقول: إلهى! وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لى أعاننى عليها شقائى وعزنى سترك المرخى علىّ، وقد عصيتك بجهدى، وخالفتك بجهلى، ولك الحجة علىّ، فالآن من عذابك منْ يستنقذنى؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك منى؟ واشباباه! واشباباه قال: فلما فرغ من قوله تلوت آية كتاب الله: ﴿نَارًا وَقُودُهَا

---

(١) أنظر «الجواب الكافى» العلامة ابن القيم ـ تحقيق: الشيخ محمد عبد الملك الذغبى. ط. دار المنار

﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم:٦]. فسمعت حركة [illegible]
ثم لم أسمع بعدها حساً، فمضيت فلما كان من الغد رجعت في مدرجتي [illegible]
بجنازة قد وضعت، وإذا بعجوز كبيرة فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن تعرفني،
فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه! مر بابني البارحة وهو قائم يصلي [illegible]
آية من كتاب الله، فلما سمعها ابني قطرت مرارته فوقع ميتاً[1].

لا إله إلا الله، يا عاصي أما رأيت وتظرت يموت لآية من كتاب الله وأنت بين يديك كتاب الله كله فعجباً لقساوة قلبك أيها العاصي تسمع كلام الله وكأنك لم تسمعها، فويل لك أيها العاصي فإن القرآن حجة لك أو عليك [illegible] حجة عليك والعياذ بالله[2].

أيها العصاه إلى كم تضيعون السنن والفرائض إلى متى [illegible] قائض!! يا كسلان في الطاعة وهو في المعصية ناهض [illegible] نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

لا ينفع الوعظ قلبا قاسيا أبدا ولا يلين لوعظ [illegible]
ولا أرى أثر للذكر في جسدى والحبل في [illegible]

ويقول محمد بن أبي الفرج: احتجت في شهر رمضان [illegible] الطعام فوجدت في السوق جارية ينادى عليها بثمن زهيد و[illegible] نحيفة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها رحمة لها وأتيت بها إلى المنزل [illegible] وامضى معي إلى السوق لنشترى حوائج رمضان فقالت [illegible] قوم كل زمانهم رمضان، فعلمت أنها من الصالحين، فكـ[illegible] تقوم الليل كله [illegible] شهر رمضان فلما كان آخر ليلة قلت لها إمضى بنا إلى السوق لنشترى حوائج العيد فقالت يا مولاياى حوائج العيد، حوائج العوام أو حوائج الخواص. فقل لها

---

(١) انظر «التوابين» [ص/١٨٨-١٨٩] تحقيق. ط دار المنار - فياض.

(٢) قولي «حجة لك أو عليك» جزء من حديث فيه الوضوء شطر الإيمان.. أخرجه مسلم في الطهارة، باب [١] «ح» [٢٢٣] والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [١٦٨] والترمذي - كتاب الدعوات [٥/٤٠٧] «ح» [٣٥٢٨] وقال: هذا حديث حسن صحيح. وانظر «رياض الصالحين» بالرقم [٢٥] و[١٠٣١] و [١٤١٣] - بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. ط. دار المنار

صفى لى حوائج العوام وحوائج الخواص، قالت حوائج العوام الطعام المعهود فى العيد. وحوائج الخواص التجرد من العيوب والتقرب من الرب المعبود فقلت لها: أريد حوائج الطعام، فقالت: أى الطعام تعنى طعام الأجساد أو طعام القلوب، فقلت لها صفيهما لى، قالت: أما طعام الأجساد فهو القوت المعتاد، وأما طعام القلوب فترك الذنوب وإصلاح العيوب، ثم قامت تصلى فقرأت فى الركعة الأولى البقرة كلها، ثم شرعت بعد ذلك فى سورة آل عمران ثم لم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت إلى سورة إبراهيم إلى قوله تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ فلم تزل ترددها وهى تبكى إلى أن أغمى عليها ووقعت على الأرض فحركتها فإذا هى قد ماتت رحمها الله.

أيها العصاة: استحوذت عليكم الغفلة وغرتكم أيام المهلة فيا مغتراً فى ظلمة بامها له فلا تحسبن الله غافلاً عما يعمل العصاة ليست المهلة على الإطلاق إنما يوخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، إذا انتهى أمدها طلبوا زيادة أخرنا إلى أجل قريب، فيقابلون بتوبيخ، أو لم نعمركم، فلوا رأيتهم يوم العرض قد خرجوا من قبورهم حيارى وبرزوا لله الواحد القهار، ترجف بوادرهم يوم ترجف الراجفة، عليهم أمارات الشقاء يعرف المجرمون بسيماهم إذا اشتد جوعهم ليس لهم طعام إلا من ضريع، وإذا قوى عطشهم سقوا ماء حمياً فقطع أمعاءهم، والله العرى خير من كسوتهم سرابيلهم من قطران إذا استغاثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه... . أثراهم لم يسمعوا أن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين إذا شاهدت النار من اشترى لذة ساعة بعذاب سنين تكاد تميز من الغيظ من أراد النجاة أن يتماسا.

وصدق القائل:

ما حال من غلقت أبواب رحمته	وخلدت نفسه فى سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة	كأنما ختمت أجفان مقلته
فدعه لم يفق من قبل صرعته	فسوف يعثر فى أذيال جفوته
يا من ينادى ولا يصغى لصالحه	كأنما قلبه فى غير جثته
إن كان جسمك لا يقوى على الألم	فالنار أعظم من آلام علته

أنظر أيها العاص» إلى فعل الصغار: وأبكى على المعاصى الصغار والكبار، قبل أن يأتى يومٌ لاينفع فيه الاعتزاز.

جاء فى كتاب «عظة الألباب» أن بعض الصالحين رأى صبياً على باب مكتب يبكى فسأله عن ذلك فقال: كتب لى المعلم فى اللوح سطراً أبكاني فقلت: وما هو. قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد بعد تهديد وتخويف بعد تخويف يخوف عباده، فقال له الرجل: آخر بكاءك إلى غد فإنه يكتب لك أبلغ من هذا وهو قوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ فاضطرب الصبى وسقط على الأرض ميتاً، رحمه الله فوثب إليه المعلم وقال له: أنت قاتله فأخبر أهله فرفعوه إلى الخليفة فقص عليه القصة فقال الخليفة: دعوه فقد أسرع بالصبى الصالح إلى منازل السعداء.

كان يوسف بن إسباط ـ رحمه الله تعالى كلما ختم القرآن مرة يستغفر الله تعالى سبعمائة مرة ثم يقول اللهم لا تمقتنى بما قرأته من غير عمل.

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله حامل القرآن مقامه يجل عن أي يعصى ربه كيف يصح له أن يعصى ربه وكل حرف من القرآن يناديه بالله لا تخالف ما أنت حامله منى فلا ينبغى لحامل القرآن أن يلهو مع اللاهين ولا يسهو مع السهين ولا يغفل مع الغافلين.

وقال مالك بن دينار: يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم فإن القرآن ربيع القلب كما أن الغيث ربيع الأرض.

تأمل يا أخى نفسك وأبكى على حالك فإن سداك ولحمتك شهوات فأنت محجوب عن ربك فى عموم الأوقاف لا تتلذذ بشىء من العبادات ولا تراقب ربك الخلوات فكيف تدعى أنك مع الصالحين وأنت قد خالفتهم فى جميع أحوالهم.

كان الفضيل ـ رحمه الله يقطع الطريق فبينما هو ذات ليلة واضع رأسه فى حجرغلامه إذ ظهرت قافلة فلما دنوا منهما قالوا: ان الفضيل ههنا فكيف نصنع فقال ثلاثة من قراء القرآن نرى إليه ثلاثة أسهم فإن رجع وإلارجعنا فرمى واحد

منهم سهما وقال: ﴿ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ فصاح الفضيل وقال: أصابنى سهم فجعل الغلام يطلب السهم فى بطنه فلم يجده فقال له: لقد أصابنى سهم الله، ثم رمى الثانى سهما وقرأ: ﴿ففروا إلى الله إنى لكم نذير مبين﴾ فصاح الفضيل وقال ياغلام لقد أصابنى سهم الله. ثم رمى الثالث وقال: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ فصاح صيحة وقال لغلامه ورفقانه: ارجعوا فإنى تبت إلى الله.

فكم من مرة أيها العاصى سمعت فيها هذه الايات وما تحرك قلبك بل ازداد قسوة، فياويلك من عذاب الله، أتدرى على منّ تقسى؟ على نفسك أيها المسكين الحزين، حتى ينقطع الرجاء بينك وبين رب العالمين ويكون مصيرك إلى النار مع المجرمين فى عذاب الحميم والعياذ بالله الكريم.

وكان الرسول ﷺ حريص على جعل أمته يقرأون القرآن ففى الحديث: «لقى رسول الله ﷺ جبريل فقال: يا جبريل إنى بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف»[1]. وفى رواية: «ليس منا إلا شافٍ كافٍ»[2]. وفى رواية «فكل حرف شاف كاف»[3].

وقال عبد الله بن مسعودٍ - رضى الله عنه: «قال لى رسول الله ﷺ وهو على المنبر: اقرأ علىَّ قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: أنى أُحبُّ أن أسمعه من غيرى فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيد﴾ قال: حسبك الآن. فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»[4].

---

(١) الحديث أخرجه الطيالسى فى «المسند» [٧٣/ «ح»(٥٤٣)] والترمذى فى المسند [٥/ ١٩٤] - كتاب القراءات [٤٧] باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف ١١) «ح» [٢٩٤٤] وقال: حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبىٍّ بن كعب. وفى كنز العمال [٤٨٥٢].

(٢) أخرجه احمد فى المسند [٥/ ١٢٤] وأبو داود فى المسند [٢/ ١٦٠] كتاب الصلاة [٢] باب أنزل القرآن على سبعة أحرف [٣٥٧] «ح» [١٤٧٧].

(٣) أخرجه أحمد فى «المسند» [٥/ ٥١-١١٤-١٢٢] والنسائى فى «المجتبى» [٢/ ١٥٤] - كتاب الإفتتاح [١١] باب جامع ما جاء فى القرآن [٣٧].

(٤) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى [٨/ ٢٥٠] - كتاب التفسير [٦٥] تفسير سورة النساء [٤] باب =

عن أنس رضى الله عنه قال: «قال النبى ﷺ لأبى بن كعب: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن. قال آلله سمانى لك!؟ قال: نعم. قال: وقد ذُكرت عند رب العالمين؟! قال: نعم. فذرفت عيناه»(٢) وفى رواية: «أمرنى أن أقرأ عليك: ﴿لم يكن الذين كفروا﴾»(٣).

ويقول ﷺ: «اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»(٤). وعن جبير بن مطعم قال: قدمت المدينة لأسأل رسول الله ﷺ فى أسارى بدر، فوافيته يقرأ فى صلاة المغرب ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ فلما قرأ ﴿إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾ فكأنما صُدِع قلبى، فأسلمت خوفا من نزول العذاب، فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ كاد قلبى أن يطير(٥) أيها العاصى: هاهو رسول الله ﷺ يبكى من القرآن وأنت لا تبكى؟!!! ما هذه القساوة التي فيها ،الرسول ﷺ يبكى، المغفور له ذنبه والآخذ بنا إلى الجنة، وأنت

= ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ «ح» [٤٥٨٢] وفى [٩/ ١٣] - كتاب فضائل القرآن [٦٦] باب من احب ان يستمع القرآن من غيره [٣٢] «ح» [٥٠٤٩] وفى [٩/ ٩٤] باب قول المقرئ للقارئ: حسبك [٣٣] «ح» [٥٠٥٠]، ومسلم فى صحيحه [١/ ٥٥١] - كتاب صلاة المسافرين [٦] باب فضل استماع... [٤٠] «ح» [٢٤٧/ ٨٠٠] و [٢٤٨/ ٨٠٠] وأحمد فى المسند [١/ ٣٥٥٠] والنسائى فى «الكبرى» [٦/ ١١١٠٥] وابو داود - فى العلم - [٣٦٦٨] والترمذى فى السنن [٥/ ٢٠ -٢١] «ح» [٣٠٣٥] وفى الشمائل [٣١٦] وابن حبان فى صحيحة» [٧٠٦٥] والطبرانى [٨٤٦٠] [٨٤٦١] وأبو يعلى [٥٢٢٨] والبيهقى [١٠/ ٢٣١].

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى في صحيحه [٨/ ٧٢٥-٧٢٦] كتاب التفسير[٦٥] «ح» [٤٩٦٠] و[٤٩٦١] ومسلم فى صحيحه [١/ ٥٥٠] «ح» [٢٤٥/ ٧٩٩]..

(٣) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى فى صحيحه [٧/ ١٢٧] - كتاب مناقب الأنصار [٦٣] باب مناقب ابى بن كعب [١٦] «ح» [٣٨٠٩] وفى [٨/ ٧٢٥] - كتاب التفسير[٦٥] تفسيرسورة ﴿لم يكن﴾ [٩٨] «ح» [٤٩٦٩] و[٤٩٦٠].

(٤) الحدث: صحح، اخرجه البخارى [٩/ ١٠١]- كتاب فضائل القآن [٦٦] «ح» [٥٠٦٠، ومسلم في صحيحه [١/ ٢٠٥٣- ٢٠٥٤] - كتاب العلم[٤٧] باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ..[١] «ح» [٣/ ٢٦٦٧] و[٤/ ٢٦٦٧].

(٥) انظر «مع اعلام المفسرين» الجزء[٢٧] للشيخ محمد على الصابونى - رحمه الله. [ص/ ٤١] ط الغزالى بيروت وأشار إلى «البحر المحيط» [٨/ ١٤٧]

* ملحوظة: ويعد جبير بن مطعم - رضى الله عنه - خير شاهد على أن شرط الإسلام فى العدالة يكون وقت الأداء فقط، أما وقت التحمل فلا يشترط ذلك، فجبير بن مطعم تحمل قبل الإسلام وروى ما تحمله بعد الإسلام وقبل منه، أخرج الشيخان: أنه سمع النبى ﷺ يقرأ فى المغرب «الطور» وكان قد جاء فى فداء أسرى بدر قبل أن يسلم، وفى رواية البخارى: وذلك أول ما وقر الإيمان فى قلبى. انظر كتابنا «مصطلح الحديث» - تحت الطبع -.

أيها الغافل تضحك، فكيف يؤثر فى قلبك هذا الكلام بعد ذكر كلام الله خير الكلام. وإلى الله المشتكى. وحم الله القائل:

لله قــوة بـذكــره اشــتــغـلــوا	وفى حــى قــربــه لقــدنــزلوا
لـيـس لـهـم غـيــر ذكـره فــرح	فــهــم حققا عليه قد حصلوا
من ذاك وصل الحبيب هام ولـم	يحـل لـه منزل ولا طلل
بـوحـهـم فى وصـالـه سـمـحـو	وحقـقـوابـحـهـم ومـا جهلوا

الأمر الثاني:ـ تجنب رفقة السوء:ـ

قيل للحسن ـ رحمه الله تعالى: كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا أن تطير، فقال: والله لأن تجالس من يخوفونك حتى يدكك الأمن خير من أن تجالس من يؤمنك حتى يدركك الخوف.

دخل بعض الأمراء على داود الطائي ـ حمه الله تعالى فى مرضه فوضع لى جنبه ألف دينار.فقال له خذها عافاك اللهفقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم. لا تأتينى بعد اليوم ثم التفت للحاضين وقال: هذا يريد أن يزيدنى دنساً على دنسى قبل موتى.

وقول ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظ أحدكم من يخالل»[1].

وكان عمر بن عبد العزيز إشترط علي من يجالسه ألا يذكر شيء من أمو الدنيا وكان يجالس العلماء ويبكون وكأن بين أيديهم جنازة. رحمهم الله.

فعليك أيها العاصى بكل من يذكرك بذنبك فهذا والله هو الدواء لكلِّ داء.

ووى أن داود إذا أراد النياحة نادي مناديه فى أندية المذنبين مجتمعون فى مأتم الندم فيزداد الحزن بالتعاون وكان يقول: الهى خجت أسأل أطباء عبادك داوونى فكلهم دلونى علك الهى أمددعينى بالدموع وضعفى بالقوة حتى أبلغ رضاك.

(١) الحديث أخجه فى المسند [٢/ ٣٠٣] وأبو داود فى السنن [٥/ ١٦٨] ـ كتاب الأدب [٣٥] باب من يؤم أن يجالس [١٩] "ح" [٤٨٣٣] والترمذى في السنن [/ ٥٥٩] ـ كتاب الزهد [٣٧]"ح" [٢٣٧٨]وقال: حسن غيبوالحاكم فى المستدك [٤/ ١٧١] وقال: صحح ن شاء اللهتعالى. وأقه ووافقه الذهبى. والخطيب [٤/ ١١٥] وابو نعيم فى "الحلية"[٣/ ١٦٥] والبغوى فى"شح السنة" [١٣/ ٧٠] "ح" [٣٤٨٥]. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وكلهم من طيق موسى بن ودان عن أبيهية به، وقال التمذى: حسن غيب. . .وصححه الحاكم، ورجاله موثقون إلا أن الاوى عن موسى مختلف فيه.اهـ.

ويقول ﷺ: «لا تصاحب لا مؤمنا ولا يأكل طعامك لا تقى»[1].

جاءمحمد بن إبراهيم والى مكة سلم على سفيان الثوى - رحمه الله فى المطاف قال له: ماذا تريد بالسلام إن كنت تريد أن أعلم أنك تطوف اذهب فقد علمت.

وقال ﷺ: «يا أبا ذر أى عُمر الإيمان أوثق ؟ قل : الله ورسوله أعلم ! قال: الله والحب فى الله والبغض فى الله»[2].

أيها العاصى إياك والصاحب العاصى مثلك فإنه يهون عليك الأمر بل يشجعك على فعله ففر منه فرارك من الأسد أو المجزوم فإنه والله لن ينفعك فى يو الحسرة والندامة اوأنظر إلى هذ الوقف.

روى أن "لوليد بن لغيرة" جلس عند لنبى ﷺ وعضه، فتأثر قلبه ب سع وكاد أن يُسل، فعيره رجل ن لشركين [كن صديقه] وقل: تركت دين بئك وضللّه وزعت أنه فى لنار؟ فقل لوليد : إنى خشيت عذاب الله، فضن له لرجل إن هو أعطه شيئاً ن له ورجع إلى شركه أن يتحل عنه عذب الله عزّ وجلّ، فأعطه بعض لذى ضن له ث بخل ومنعه الباقى ويقول تعالى:

﴿أفأيت الذى تولى وأعطى قللاً وأكدى...﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع

---

(١) الحديث: حسن، أخرجه أحمد فى المسند [٣/ ٣٨ وابن حبان فى"صحيحه" - موارد الظمآن [٥٢/ ٢٠٤٩ والترمذى فى سننه [٤/ ٦٠٠] كتاب الزهد [٣٧] باب ماجاء فى الصحبة - [٥٥] "ح" [٢٣٩٥]، وأبو دود [٥/ ١٦٧] - كتاب الأدب [٣٥] "ح"[٤٨٣٢] والدارمى فى السنن [٢/ ١٠٣ الطيالسى [٢٢١٣ والحكم فى"المستدرك" [٤/ ١٢٨] - وحسنه الشيخ الألبانى. وراجع المشكاة برقم [٥٠١٨ وصحيح الجامع برقم [٧٣٤١].

(٢) الحديث أخرجه الطبرنى فى"الكبير" [١١/ ٢١٥] "ح" [١١٥٣٧] البغوى فى شرح السنة [١٣/ ٥٣] "ح" [٣٤٦٨] أحمد فى المسند [٥/ ١٤٦] وأبو داود [٧١٥ - كتاب السنة [٣٤] باب - [٣] "ح" [٤٥٩٩] وفى"المشكة" [٣/ ١٣٩٦]"ح" [٥٠١٤] وعزه للبيهقى فى"الشعب".

ففى هذ لحديث قول أبى ذر - رضى لله عنه "لله ورسوله أعلم" أو بعض الناس يقولون هذه اللفظة "لله ورسوله أعلم" وهذ باطل لأن الرسول لا يعلم شىء، ﷺ

(٣) "أنظر أعلام المفسرين" [ص/ ٥٣]الجزء السابع والعشرون. للصابونى ...، والرازى فى "التفسير الكبير [٧/ ٧٦٤].

السول سبيلا . يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلاً. لقد أضلنى عن الذكر بعد ذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾.

هكذا أخبرنا القرآن أيها العاصى بمن أنت معه ماشى فبعد أن كنتم أولياء بعضكم وبعد الحب الذى بينكم سينقلب كل ذلك إلى بغض وعداوة لأن هذه المحبة لم تكن لوجه الله تعالى، وإياك ومجالسة منْ لا تستطع قول الحق عنده.

كان الأحنف بن قيس ـ رحمه الله عند معاوية ـ رضى الله عنه وقد ذكروا كلاماً والأحنف جالس ولم يتكلم فقال له معاوية ـ ضى الله عنه: مالك لا تتكلم يا أحنف. فقال: أنى أخشى الله تعالى إن كذبت، وأخشاك إن صدقت فرأيت السكوت أولى.

انصح صاحبك بلطف ولا تغلظ عليه بالقول فصيبك منه أذى ان كان مسؤلاً أو من الأكابر، وأنظر إلى هذا الموقف.

حبس هاون الرشيد رحمه الله رجلاً ظلماً فكتب إليه الرجل:اعلم يا هارون أنه ما من يوم مضى من حبسى وبؤسى إلا ويمضى من عمرك ونعيمك مثله والأمر قريب والحاكم بينى وبينك الله تعالى، فلما قرأها الرشيدخلى سبيله وأحسن له العطاء.

وكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله: كان الحجاج الثقفى بلاء من الله وافق خطيئة.

وقد كتب أخ لمحمد بن يوسف رحمه الله يشكو إليه جور الوُلاة فى بلاده فأجابه محمد بقوله: قد بلغنا كتابك ولا يخفى عن علمك يا أخى أنه ليس لمن عمل بالمعصية أن ينكر وقوع العقوبة وما أرى ما أنتم فيه إلا من شؤم الذنب والسلام.

ورحم الله القائل:

يا نفس توبى عن فعال منكره	واسعى إلى دار البقى متبصرة
يا نفس فاز القوم من رب العلا	عــن زلاتــهـم والمغــفــرة

يـا نفـس قـد قـطعوا النهار لـربهم	صـومـا وفـازوا بالعـلا فى الآخـرة
يـا نفس ويـحك للمتـاب فـبادرى	مـن قبل أن تـأتى الذنوب مسطـرة
يـا نـفـس ان الـقـوم زادوا خـيـفـة	مـن مكـه وقـلـوبـهـم متـنكـرة
يا نفس جـدى فى التقـى وتـزودى	عـمـلا وكـونـى للـقـا مـستشعـة
يـا نفـس كم قوم على الدنيا احتووا	ظـلـمـا ومـا لـهـمـو اذا مـن آخره
يـا نـفس كـم أمـم تـفانوا فى البلاد	عـظـامـهم أضحـت عـظلما ناخـرة
يـا نفس تـوبى اليوم مـن قبـل الردى	فـعـسـى تـكـونى فى غـدا مستبشرة
يـا نـفـس آه مـن الـذنـوب وكـلـهـا	يوم الـقـيـامة فى الكتـاب محـررة
يـانفـس مـا يـنجيك فى يـوم اللـقـا	يـانفـس مـا يـنجيك فى يـوم اللـقـا

الأمر الثالث: الزهد فى الدنيا.

قال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أقسام: زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة، فأما الزهد الفرض: فالزهد عن الحرام. وأما الزهد الفضل فالزهد فى الحلال، وأما الزهد السلامة فالزهد فى الشبهات.

وقال الحسن ـ رحمه الله الزهد الذى اذا رأى أحداً قال هو أزهد منى.

ورحم الله القائل:

جميع فوائد الدنيا غـرور	فلا يبقى لمسرور سرور
فقل للشامتين بنا استعدوا	فان نوائب الدنيا تدور

وسأل رجل الإمام أحمد أن يعظه، فقال الإمام: إن كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا؟!! وإن كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا؟!! وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا؟!! وان كانت النار حقاً فالمعصية لماذا؟!! وان كانت الدنيا فانية فالطمأننة لماذا؟!!

وان كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟!!

وان كان كل شيء بقضائه وقدره فالحزن لماذا؟!!

ويقول ﷺ: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك

الناس»[1].

درجات الزهد:

الأول:- أن يزهد فى الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفته ولكن يجاهدها ويكفها هذا يسمى متزهداً.

الثانية:- أن يترك الدنيا طوعاً لإستحقاره اياها بالاضافة إلى ما طمع فيه، ولكنه يرى زهده ويلتفت إليه كالذى يترك درهماً لأجل درهمين.

الثالثة:- أن يزهد فى الدنيا ويزهد فى زهده فلا يرى أنه ترك شيئاً، فيكون كمن ترك خذفة وأخذ جوهرة، ويمثل صاحب هذه الدرجة بمن منعه من الدخول على الملك كلب على بابه، فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بها ودخل على الملك

---

(١) الحديث: ضعيف الإسناد، اخرجه ابن ماجه [٤١٠٢] والحاكم [٣١٣] والعقيلى فى"الضعفاء الكبر" [٢/ ١١] ضمن ترجمة خالد بن عمرو الأموى [٤١٣] والطبرانى فى "الكبير" [٦/ ٢٣٧] "ح" [٥٩٧٢] وابن عدى فى "الكامل" [٢/ ٩٠٢] ضمن ترجمة خالد بن عمرو القرشى، وابو نعيم فى"الحلية" [٣/ ٢٥٣] ضمن ترجمة سلمة بن دينار [٢٤٠] والتبريزى فى"المشكاة" [٣/ ١٣٣] وعزاه للترمذى وابن ماجه ولكن عزوه للترمذى غير سديد،قال القارى فى "المرقاة" [٥/ ٣٣] قال ميك: أظن أن ذكر الترمذي وقع سهواً من نساخ الكتاب، وابن حبان فى؛الروضة" [١٤١] والقضاعى فى المسند [٤٦٣] والرويانى فى المسند [٢/ ٨١٤]وفى اسناده: خالد بن عمرو القرش: قال أحمد: ليس بثقة، قال البخاي: منكر الحديث. . . . وذكر الذهبى الحديث وقال: تابعه محمد بن كثير الصنعانى، عن سفيان، وقال العُقيلى: ليس له أصل من حدث هذا اسناد ضعيف، خالد بن عمرو. قال أحمد وابن معين: أحاديثه موضوعه. وقال البخاري وأبو زرعة موضوعة. ونقل البويصيرى قول العقيلى: ليس له أصل من حديث الثورى. اهـ.

وأورده ابن الجوزى فى"العلل المتناهية" من طريق خالد بن عمرو وضعف الحديث.

ويقول المنذرى ـ رحمه الله: وقد حسن بعض مشايخنا أسناده وفيه بعد لأنه من رواية خالد بن عمرو وقد تُرك واتهم ولم أرى من وثقه لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة ولا منع كونه ضعفاً أن يكون النبى قاله، وقد تابعه عليه محمد بن كثير الصنعانى عن سفيان ومحمد هذا وقد وثق على ضعفه وهو أصلح حالاً من خالد والله أعلم.

قلت والله المستعان: يتبين لنا ضعف الرواية من قول المنذرى رحمه الله، وان كان يمل إلى تحسينها بمتابعة محمد بن كثير، فهذا السند أيضاً ضعيف ولا يصح، قال ابن أبى حاتم سألت أبى عن هذا الحديث [بالسند الذى فيه ابن كثير الصنعانى] قال: هذا أيضاً حديث باطل يعنى بهذا الاسناد.وراجع "علل الحديث" [٢/ ١٠٧] "ح"رقم [١٨١٥]. ط. داز المعزفة. بيروت.

وأما تحسين الشيخ.الفاضل الألبانى كما فى صحيحته [٩٤٤] وفى صحيح الجامع [٩٢٢]و[٩٢٣] ففيه نظر كبير جداً عندى وللمزيد راجع"رياض الصالحين" برقم [٤٧٢] ـ بتحقيق محمد عبد الملك الزغبى ـ حفظه الله .ط. دار المنار .

ونال القرب منه، فالشيطان كلب على باب الله عزّ وجلّ يمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع، والدنيا كلقمة فمن تركها لينال عز الملك فكيف يلتفت اليها [١].

أيها العاصى: ازهد فى الدنيا تخلو من المعاصى. أتعلم أن كل فعلك من أجل الدنيا، أما تعلم ان عزها زائل ونعيمها فانى، وسوف تخرج منها بقطعة قماش، انظر كم عريت أخيك المسلم لكى ترتدى أنت قميصه، والله لتخرج منها عُريانا فانظر إلى فعل بشر - رحمه الله وتأمل وسوف تتعلم ان شاء الله تعالى.

وجدوا بشر الحافى - رحمه الله فى الشتاء يرتعد وثوبه معلق فقيل له: في مثل هذا الوقت تنزع ثوبك؟ فقال: الفقراء كثير ولا طاقة لى بمواساتهم بالثياب فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملونه.

وأتاه رجل فى مرضه فشكا إليه الحاجة فلم يكن عند بشر شىء فنزع قميصه فأعطاه له واستعار ثوباً فمات فيه فخرج من الدنيا كما دخلها حمه الله تعالى.

ووجدته يوماً أخته وهو راقد على عتبة الباب ورجليه خارج الدار فقالت له، منذ متى وأنت هكذا؟ فقال: منذ البارحة. فقالت: ولماذا لا تذهب للنوم؟ قال: لقد فكرت فى بشر المجوسى وبشر اليهودى وبشر الحافى أيهم يدخل الجنة.

هؤلاء هم المؤمنون أيها العاصى يجُوعون وشبع الناس، يبيعون ثيابهم ويكسون الناس يتفكرون وينام الناس، فيا سعادتهم برب الناس.

أيها العاصى إترك الحرام ولا تتعلل بالعيش فالرزاق هو الله، والله لو اتقيت الله لأعطاك من حيث لا تحتسب، وانظر إلى مافعله أبو مسلم الخولانى - رحمه الله.

كان أبو مسلم الخولانى - رحمه الله يحب التصدق والإثار على نفسه وكان يتصدق بقوته ويبيت طاوياً فأصبح يوماً وليس فى بيته غير درهم واحد فقالت له زوجته خذ هذا الدرهم واشترى به دقيقاً نعجن بعضه ونطبخ بعضه للأولاد فانهم لا يصبرون على ألم الجوع فأخذ الدرهم والمزود وخرج إلى السوق

---

(١) أنظر "البحر الرائق" [ص/ ١٩١-١٩٢]. ط. دا الايمان - الإسكندرية.

وكان الجو برداً شديداً فصادفه سائل فتحول عنه فلحقه وألح عليه وأقسم عليه فدفع له الدهم وبقى فى هم وكرب وفكر كيف يعود إلى الأولاد والزوجة بغير شيء فمر بسوق البلاط وهم ينشرونه ففتح المزود وملأه من النشارة وربطه وأتى به إلى البيت فوضعه فيه على غفلة من زوجته ثم خج لى المسجد فعمدت زوجته لى المزود ففتحته فاذا فيه دقيق أبيض فعجنت منه وطبخت للأولاد فأكلوا وشبعوا ولعبوا فلما ارتفع النهار جاء أبو مسلم وهو على خوف من امرأته فلما جلس أتته بالمائدة والطعام فأكل فلما فرع قال: من أين لكم هذا؟ قالت من المزود الذى جئت به أمس فتعجب من ذلك وشكر الله على لطفه وحسن صنعه.

أنظر أيها العاصى إلى لطف الله توكلوا عليه فكفاهم أمر دنياهم ورزقهم من فضله وفعل معهم ما هو أهله.

ورحم الله القائل:

تـوكل على الرحمن تحظى برفده	وكـن واثـقـا مـنـه برزقك بالفعـل
وسلـم لـى مـولاك أمـرك انـه	سيـكفيك أسباب الكريهـة والثقـل
ومن يتوكل فى الأمـور جميعـها	عـلى الله يحظى بالتباشر والفضـل
فـذاك الـذ قـد أذهـب الله همـه	وجازاه بالحسان فى الضيف والمحل

وقال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا الآخرة من المفاليس.

ورحم الله القائل:

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طـــريق	والليالى متجر الإنسان والأيام سُوق

وقال عبد الواحد بن زيد: مررت فى بعض الطرق بشيخ أعمى مقطوع اليدين والرجلين ضربه الفالج والزنابير تنهش من لحمه وهو يقول: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثير من خلقه، قال: فتقدمت إليه، وقلت له: يا أخى وأى شيء عافاك الله منه والله ما أجد جميع البلايا إلا محيطة بك؟ قال: فرفع طرفه إلىّ السماء وقال: يا بطال إليك عنى فإنه عافانى إذ أطلق لى لساناً يوحده وقلباً يعرفه وفى كل لحظة بذكره وأنشد:

حمدت الله ربى إذ هدانى إلى الاسلام والدين الحنيفى

فيذكره لسانى كل وقت ويعرفه فؤادي باللطف

وقال يحيى بن معاذ: ليكن نظرك إلى الدنيا إعتبار وسعيك لها إضطراراً ورفضك لها إختياراً.

أصاب حريق مدينة البصرة فخرج الناس بأمتعتهم ومالهم وخرج مالك بن دينار بالمصحف مربوط فى عنقه وهو يقول: هكذا نُبعث يوم القيامة هكذا نُبعث يوم القيامة.

وسرقت امرأة مصحفه يوما وملحفته فجعل يتبعها ويقول: خذى الملحفة وهاتي المصحف.

وقال إدريس: لما زالت محنة الإمام أحمد بن حنبل حمل إلى بيته مال كثير وهو محتاج إلى أيسره فرد جميع ذلك ولم يقبل منه قليلاً ولاكثيراً فجعل عمه اسحق يحسب مارده فى ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار فقال له الإمام أحمد: ياعم أراك مشغولاً بحساب مالا يفيدك فقال له: لقد رددت اليوم كذا وكذا وأنت محتاج فقال: يا عم لو طلبناه لم أتنا انما أتانا لما تركناه.

وجاء رجل إلى الحسن البصرى - رحمه الله فقال، له: إنى عمرت داراً وقصدى أن تدخلها وتدعو لى فها بالبركة،فقال له الحسن: لقد غرك أهل الأض ومقتك أهل السماء بنيت شديدا وأملت بعيداً وستموت قريباً.

مكث بشر الحافى - رحمه الله تعالى خمسين سنة يشتهى هريسة ففتح الله عليه فى بعض الأيام بدرهم فمضى إلى السوق ليشتريها به فسمع الهراس [صاحب الهريسة] ينادى: ماذا خبىء للصوام. فرجع باكياً ولم يشتر شئاً فبقى مدة تطالبه نفسه بها فخرج إلى السوق ثانياً ليشتريها وإذا بالهراس ينادى ويقول: بقى القليل، فبكى ورجع وعاهد الله تعالى أن لا يذوقها.

قل أيها العاصى وردد: الهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجنابك ووقفت سفينة المساكين علي ساحل بحر كرمك يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك ونعمتك، إلهى ان كنت لا تكرم إلا من أخلص لك فمن للمذنب المقصر اذا غق في بحر ذنوبه وآثامه، . الهى ان كنت لا ترحم إلا الطائعين فمن للعاصين، وان

كنت لا تقبل لا العاملين فمن للمقصرين. الهى ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصون ونحن عبادك المذنبون فارحمنا برحمتك وجد علينا بفضلك ومنتك واغفر لنا أجمعين يا أرحم الراحمين.

ورحم الله القائل:

أنا المرخى الستور على المعاصى — على عبدى الجسور اذا عصانى

أيجمل بى اذا العاصى أتانــى — وعـاتب نـفـسه فيمـا جفانى

وجدد توبة منه وأبـــــدى — تـضـرعـه بـدمع منه قانـــى

أقـنـطه وأمـنـعه جـنـاتـــى — وقـدوا فى كثيب القلب عانى

فكم أعددت للتواب عـنـدى — مـن الخيـرات فى غرف الجنان

أيها العاصى ازهد فى الدنيا وفي المناصب فان ما عند الله باقى، ولاتقل لماذا فسوف تعرف يوم التنادى عندما يقول الجليل هيا يا عبدى.

جلس عبد الله بن مشرف وزير هارون الرشيد بين يديه ثم قال: ياأمير المؤمنين لو استغاث بك رجل في رد عبد له هرب إليك أما كنت ترده؟؟ قال الرشد: بلى. قال: فأنا قد فررت إلى خدمة سيدى فأتركنى له فقد أردت الرجوع إليه، فبكى الرشيد ومن حضره وقال: هذا رجل قد نجا من بيننا ونحن جلوس ننظر إليه، ثم خلي سبيله فخرج من وقته محرماً يقول: لبيك اللهم لبيك، فلقيه سفيان في بعض الطرق وهو نائم على الأض وعلى وجهه التراب فسلم عليه وقال: يا عبد الله ما الذي عوضك الله عما تركت؟؟ فقال: يا سفيان عوضنى الرضا بما أنا فيه، وجاء إلى بيت اللهالحرام يبكى ما أن وقع بصره عليه حتى مات. رحمه الله تعالى.

ورحم الله القائل:

ويحك يا نفس البدار البدار — فماهذه الدار لحى بدار

منزلة والناس سفركم — خانهم صرف الليالى وجار

قد نفذ العمر وقل البقا — إلى متى يانفس الإغترار

من كان فى الدنيا يرى راحلا كيف له فيها يقر القرار
أم كيف يهنا العيش فهيا لمن عليه كاسات المنايا تدار
يا أيها النائم قم وانتبــــه قد فاتك المطلوب والركب سار
إن كنت أذنبت فقم واعتذ إلى كريم يقبل الإعتذار
وانهض إلى مولى عظيم الرجا يغفر فى الليل ذنوب النهار

اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب أذنبنا عمداً أو خطأ أوسترا أوعلانية ونسألك التوفيق.

الأمر الرابع: طلب مجالس العلم والعلماء:

أيها العصاة: اذا كان الحق سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من أمه فكيف لا يقبل العبد على طاعته ويقلع عن معصيته ويقدم بين يديه ما يعود نفعه عليه، وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾**.

ورحم الله القائل:

قدم لنفسك خـــيرا ما دمت مالك مالك
واعدد جوابا سريعاً اذا سمعت سؤالـك
فكل ما قـد فعلتـه تـــراه ثـــم ينالك

عليكم أيها العصاة بمجالس العلم فهم قوم لا يشقى جليسهم.

يقول رسول الله ﷺ: **«إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فاذا وجدوا قوماً يذكون الله عزّ وجلّ تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم - وهو أعلم - :ما يقول عبادى؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك فيقول: هل رأونى؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأونى؟! قال: فيقولون: لو رآوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً. فيقول: فماذا يسألون؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة. قال. يقول: وهل رأوها: قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها. قال. يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم**

يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار، قال: يقول: هل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فهم فُلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جالسهم»[1].

فهيا أيها العاصى شارك القوم في غنيمتهم ألا وهى عفو الله، فلعلك تكون من الصنف الثانى.

وقالوا: من إنتهي إلي العالم وجلس معه ولا يقدر على أن يحفظ العلم فله سبع كرامات: **أولها**: ينال فضل المتعلمين، **والثانى**: ما دام جالساً عنده كان محبوساً عن الذنوب والخطايا. **والثالث**: إذا خرج من منزله تنزل عله الرحمة، **والرابع**: ذا جلس عنده فتنزل عله الحمة فتصبه ببركنهم. **والخامس**: ما دام مستمعاً تكتب له الحسنة. **والسادس**: تحف عليهم الملائكة بأجنحتها رضا وهو فيهم. **والسابع**: كل قدم يرفعه ويضعه يكون كفارة للذنوب ورفعاً للدرجات له وزيادة في الحسنات.

أنظر أيها العاصى إلى أثر كلام العلماء فى نفوس العصاة:

أتى رجل إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى وقال: ياأبا اسحق، إنى مسرفٌ على نفسى فأعرض على ما يكون لها زجراً ومستنفذاً فقال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم يضرك المعصية.

قال الرجل: هات يا أبا اسحاق!

قال: أما الأولى: فاذا أردت أن تعص الله تعالى فلا تأكل رزقهُ.

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى فى صحيحه[١١/ ٢٠٨ - ٢٠٩]- كتاب الدعوات [٨٠] باب فضل ذكر الله .. [٦٦] "ح" [٦٤٠٨]، ومسلم فى صحيحه [٤/ ٢٠٦٩-٢٠٧٠] - كتاب الذكر.. [٤٨] باب فضل مجالس الذكر [٨] "ح" [٢٥/ ٢٦٨٩] والترمذى [٥/ ٣٤٤-٣٤٥] - كتاب أحاديث شتى. "ح" [٣٦١١] وقال: حديث حسن صحيح، وقد روى عن أبى هريرة من غيز هذا الوجه. والتحفة [١/ ٤٠١٥]. وراجع "رياض الصالحين" برقم [١٤٤٧] بتحقيق الشيخ/ محمد عبد الملك الذغبى ط. المنار.

قال الرجل: فمن أين آكل ؟ وكل ما فى الأرض رزقه؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزق الله وتعصيه؟!!

قال: لا ـ هات الثانية.

قال: وإذا أردت المعصية فلا تسكن شيئا من بلاده.

قال: هذه أعظم فأين أسكن؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟

قال: لا هات الثالثة.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فانظر موضعاً لا يراك فيه.

قال: يا إبراهيم ما هذا وهو يطلع على ما فى السرائر؟!

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجهر به؟؟!!

قال: لا. هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فقل له: أخرنى حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله صالحاً.

قال: لا أقدر على هذا

قال: يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص.

قال: لا ـ هات الخامسة.

قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال: إنهم لا يدعونى ولا يقبلون منى وهم ملائكة غلاظ شداد.

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟؟!!

قال الرجل: يا إبراهيم حسبى ذلك، حسبى ذلك، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه(١).

ويقول ﷺ: «مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير: إمّا أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»(٢).

ويقول ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة ؟ قال: حلقُ الذكر»(٣).

ورحم الله القائل:

يا من له ستر علىَّ جميل	هل لى اليك اذا إعتذرت قبول
أبديتنى ورحمتنى وسترتنى	كرماً فأنت لمن رجاك كفيل
وعصيت ثم رأيت عفوك واسعاً	وعلىَّ سترك دائماً مسدول
فلك المحامد والمحاسن والثنا	يا من هو المقصود والمسؤل

هيا أيها العاصى إلى العلماء فعندهم الجواب لكل عاصى، فليحفظهم الله من المآسى. وقال الفقيه ـ رحمه الله: من جالس الفساق زاده الله الجراءة على الذنوب والمعاصى والإقدم عليها والتسويف فى التوبة، ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة فى الطاعات واجتناب المحارم، ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع ومن جلس مع الصبيان زاده الله اللهو والمزاح. روى أن إبراهيم بنِ أدهم ـ رحمه الله تعالى وافق مجلساً فى الرى وهى قرية من قرى الإسلام واذا فيه عالم

---

(١) أنظر كتاب "التوابين" ـ بتحقيقى. ط. دار المنار ـ [ص/ ١٨٥].

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى فى صحيحه [٩/ ٦٦٠] ـ كتاب الذبائح.. [٧٢] باب المسك [٣١] "ح" [٥٥٣٤] ومسلم فى صحيحه [٤/ ٢٠٢٦] كتاب البر... [٤٥] باب استحباب ... [٤٥] "ح" [١٤٦/ ٢٦٢٨] وكذلك أحمد فى المسند [٤/ ٤٠٤] وعند أبى داود والحاكم مختصرة من رواية أنس ـ رضى الله عنه، وصححه الألبانى [الثانية]. وراجع الترغيب [٤/ ٥٧] وصحيح الجامع برقم [٥٨٢٨].

(٣) الحديث: حسن ان شاء الله. أخرجه أحمد فى المسند [٣/ ١٥٠] والترمذى [٥/ ٥٣٢] ـ كتاب الدعوات [٤٩] باب [٨٣] "ح" [٣٥١٠] بزيادة. وعزاه السيوطى فى الجامع الصغير[١/ ٤٤٢] "ح" [٨٥٩] إلى البيهقى في الشعب. وله طرق أخرى وراجع "كشف الخفا" [١/ ١٠٦] "ح" رقم [٢٧٨] ط. دار التراث.

جالس على سرير مرتفع بالخيلاء والتكبر فلما فرغ من وعظه تعوّذ إبراهيم وقرأ: تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق السرير، فقال الفقيه: أخطأت يا خراسانى فقرأ الذى خلق الفرس واللجام وكانت دابة الفقيه على باب المسجد فقال الفقيه: أخطأت يا خراسانى، فقال إبراهيم: الذى خلق القصر، قال الفقيه: أخطأت، فقال إبراهيم: علمنى كيف هى؟؟ قال: قل «الذى خلق الموت والحياة». فقال إبراهيم: اذا علمت انك خلقت للموت فما هذه الخيلاء والتكبر. فقال الفقيه: رميت سهماً معترضاً ونفذ سهمك فى الغرض، فنزل عن السرير وتاب إلى الله وأناب ـ رحمهما الله آمين.

ورحم الله القائل:

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها ... وسيق إلينا عذبها وعذابها

فلم أرها إلا غروراً وباطلاً ... كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها

وما هى إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها

فان تجنبتها كنت سلما لأهلها ... وان تجتذبها نازعتك كلابها

فدع عنك فضلات الأمور فإنها ... حرام على نفس التقى ارتكابها.

بينما رسول الله ﷺ جالس والناس معه اذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم فرأى فرجة فى الحلقة فجلس إليها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة فأما الأول فآوى إلى الله تعالى فآواه الله وأما الثانى فاستحى من الله أن يؤذى الناس فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه»**[١].

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى فى صحيحه ـ فتح ـ كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهى به المجلس [١/ ١٤٣ ـ ١٤٤]، ومسلم فى صحيحه ـ كتاب السلام [٢١٧٦] وفى "رياض الصالحين" برقم [١٤٤٩] بتحقيقى مع الشيخ محمد عبد الملك الزغبى. حفظه الله. ط، دار المنار، ولقد شرع الشيخ محمد الزغبى فى كتابة بحث يجب على كل باحث قراءته الا وهو «الرد القوى عن صحيحى مسلم والبخارى» فيه الرد على بعض العلماء الذين انتقدوا أحاديث الصحيحين بالدليل القاطع، والأمر الساطع، حفظه الله

ورحم الله القائل:-

يامن له علم الغيوب ووصفه	ستر العيوب وكل ذك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى	كرماً فليس عليه ثم جناح
فلك التفضيل والتكريم والرضا	أنت الكريم الواهب الفتاح

تاب شاب ولكن توبته لم تكن نصحاً فذهب إلى ذى النون وقال له: أعطنى إسم الله الأعظم وظل ماكثاً عنده لمدة سنة وستة أشهر ثم أقسم على ذى النون ن يعلمه، فأراد ذو النون أن يكشفه أمام نفسه فقال له: خذ هذا الإناء وكان قد وضع عليه غطاء واذهب به إلى فلان، فأخذه الشاب وكشف الغطاء فى أثناء الطريق فوثب من الإناء فأرة فغضب الشاب غضباً شديداً ورجع إلى ذى النون وقال له: أتهزأ بى، فقال له: ائتمناك على فأرة فخنتنا فكيف نستأمنك على إسم الله الأعظم؟؟؟!!!!.

الأمر الخامس: "الدعاء"

أيها العاصى ادعو الله، فانك تسأل بنى آدم أفلا تسأل ربهم وفى ذلك قيل:

لا تسألن بنى آدم حاجـــــة	وَسَل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله	وإذا سألت بنى آدم يغضب

أيها العاصى ادعو معى بهذه الكلمات، فلقد كان دعاء بعض السلف - رحمهم الله. ورآه أخو له فى الله فى المنام فقال له: ماذا فعل بك الله؟ قال: أدخلنى الجنة برحمته بسبب هذا الدعاء:

قال: يارب أنت تعلم أنى أحب الصالحين ولم أكن منهم.

:يارب أنت تعلم أنى كنت أبغض الفاسقين وكنت منهم.

: يارب لو أعلم أن دخول الجنة ينقص من ملكك شيئا لماسألتك جنتك.
: يارب لو أعلم أن دخول النار يزيد فى ملكك شيئا لما سألتك الجيرة منها.
: يارب إن لم ترحمنى أنت فمن ذا يرحمنى.
ورحم الله القائل:

فكم لبيت عبدى إذ دعانى   وراعيت الوداد وما رعانى

أيها العاصون الخائفون إلزموا ذلاً وخضوعاً وأبدوا على ما أسلفتم بكاء وخشوعاً حينئذ يخرج لكم توقيع **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾** وحينئذ يلبسكم الأمان بالغفران تاجا معلما، فيا من أيامه فى الغفلة ضائعة وصحائفه لزلاته جامعة أقبل على مولاك بنية خالصة ونفس طائعة فقد قال تعالى لنبيه صاحب الشفاعة الشائعة **﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾** فكم غفر ذنباً وكم جبر قلباً وكم قبل متندما.

يقول رسولَ الله ﷺ: **«الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿وقال ربكم إدعونى أستجب لكم﴾»**(1).

وقل ﷺ: **«ليس شىء أكرم على الله تعالى من الدّعاء»**(2).

فالدعاء سبب مقتض للإجابة مع إستكمال شرائطه وانتفاء موانعه، فيقطع بقبوله مع توفر شروطه وانتفاء الموانع.

---

(1) الحديث: صحيح، أخرجه أحمد فى المسند [٤/ ٢٧٦] والترمذى فى السنن [٥/ ٢١١] - كتاب التفسير [٤٨] باب [٣] "ح" [٢٩٦٩] وفى [٥/ ٣٧٤] باب (٤٢) سورة المؤمن. "ح" [٣٢٤٧] وفى [٥/ ٤٥٦] - كتاب الدعوات [٤٩] باب [١] "ح" [٣٣٧٢] وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأبو داود [٢/ ١٦١] - كتاب الصلاة [٢] باب [٣٥٨] "ح" [١٤٧٩] والحاكم فى "المستدرك" [١/ ٤٩١] وصححه. ووافقه وأقره الذهبى. وابن ماجه [٢/ ١٢٥٨] كتاب الدعاء [٣٤] - باب [١] "ح" [٣٨٢٨] وابن حبان وصححه [٢٣٩٦/٥٩٥] موارد. وصححه الألبانى وراجع صحيح الجامع برقم [٣٤٠٧] والمشكاة برقم [٢٢٣٠] - وراجع "إغاثة اللهفان" بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الذغبى. ط. دارر المنار.

(2) الحديث: حسن، أخرجه أحمد فى المسند [٢/ ٣٦٢] وابن ماجه [٢/ ١٢٥٨] - كتاب الدعاء [٣٤] باب [١] "ح" [٣٨٢٩] والترمذى [٥/ ٤٥٥] - كتاب الدعوات [٤٩] باب [١] "ح" [٣٣٧٠] وقال: حديث حسن غريب. وكذلك الحاكم فى "المستدرك" [١/ ٤٩٠] وصححه. وأقره ووافقه الذهبى. وابن حبان وصححه [٥٩٥/ ٢٣٩٧] - موارد - وحسنه الشيخ الألبانى. وراجع صحيح الجامع برقم [٥٣٩٢] والمشكاة برقم [٢٢٣٢].

أيها العاصى ادعو الله، أو اطلب من الصالحين بكثرة الدعاء لك فعسى أن تُحشر معهم ولست منهم.

يقول الإمام النووى ـ رحمه الله: إن المذهب المختار الذى عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب، قال تعالى: **﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾**.

ولكن اعلم أن للدعاء آداب وشروط فمن آداب الدعاء:

أولاً: أن تجزم الدعاءوتوقن بالإجابة، فعليه أن يسأل الله سبحانه وتعالى بعزم ورغبة وجد فى مطلبه.

فيقول ﷺ: **«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه»**[1].

وكذلك يقول ﷺ: **«لا يقل أحدكم إذا دعا:اللهم اغفر لى إن شئت الله ارحمنى إن شئت ليغزم المسألة فإنه لا مكره»**[2].

ثانياً: أن يفتتح الدعاء بحمد الله تعالى والثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ثم يختم بالصلاة على النبى ﷺ. ففى الحديث: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو فى صلاته، ولم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبى ﷺ فقال: **«عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه عزّ وجلّ والثناء عليه، ثم يصلى على النبى ﷺ، ثم يدعو بما شاء**[3].

---

(١) الحديث: حسن بشواهده، أخرجه الترمذى فى السنن [٥/ ٥١٧] ـ كتاب الدعوات [٤٩] باب [٦٦] "ح" [٣٤٧٩] وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والحاكم فى المستدرك [١/ ٤٩٣] فى سنده: صالح بن بشير: ضعيف .ضعّفه. ابن معين . وقال البخارى: منكر الحديث. وتركه النسائى. . وراجع "الميزان" [٣/ ٤٠٣] برقم [٣٧٧٣] والتهذيب [٤/ ٣٨٢] ولكن له شاهد عند أحمد فى المسند [٢/ ١٧٧]، وحسّنه الألبانى بشواهده. وراجع صحيح الجامع [٢٤٥] والصحيحة [٥٦٤].

(٢) الحديث: صحيحٌ. أخرجه البخارى [١٣/ ٤٤٨] ـ كتاب التوحيد [٩٧] باب [٣١] "ح" [٧٤٧٧]، ومسلم فى صحيحه [٤/ ٢٠٦٣] كتاب الذكر. . . [٤٨] "ح" [٩/ ٢٦٧٩] وأبو داود [١٤٨٣] والترمذى[٣٤٩٢]. وراجع "الرياض" برقم [١٧٤٣] ـ بتحقيقنا.

(٣) الحديث: أخرجه أبو داود ـ الصلاة [١٤٦٨] والنسائى ـ السهو [٣/ ٤٤] والترمذى ـ الدعاء [١١/ ٢١] وقال: هذا حديث حسن صحيح، وجاء أيضاً الصلاة على النبى ﷺ فى حديث صلاة الحاجة فيه «ثم=

ثالثاً:

أن يعظم الرغبة فى ربة عزَّ وجلَّ لقوله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء**»(١).

رابعاً:

لا يعجل ولا يقول: دعوت ولم يُستجاب لى. ففى الحديث: «**يستجاب لأحدكم مالم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لى**»(٢).

.خامساً:

الاخلاص لله، وهذا الأدب هو أعظم الآداب فى إجابة الدعاء لأن الإخلاص هو الذى تدور عليه دوائر الإجابة، قال عزّ وجلّ: ﴿**مخلصين له الدين**﴾ فمتى دعا ربه غير مخلص فهو حقييق بأن لا يجاب إلا أن يتفضل الله عليه. فهو ذو الفضل العظيم.

سادساً:

الإلحاح فى الدعاء ويكرره ثلاثاً أو أكثر: لحديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً**»(٣).

سابعاً:

أن يطيب مطعمه ويصل رحمه يقول ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً**» ويقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم**

= ليثن على الله وليصل على النبى» ولكن اسناده ضعيف. أخرجه الترمذى [٢/ ٢٠ـ٢٠] 'ح' [٤٧٨] والحاكم [١/ ٣٢٠] وفيه: فائدة هو أبو الورقاء: ضعيف جداً. قال البخارى: منكر ....، وهو عند ابن ماجه [١٨٩] باب الاقامة.

(١) الحديث: صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه [٤/ ٢٠٦٣] .. كتاب الذكر.. [٤٨] باب [٣] 'ح' [٨/ ٢٦٧٩] وانظر 'رياض الصالحين' برقم [١٧٤٣] ..عقبه بتحقيقى مع الشيخ الفاضل محمد عبد الملك الزغبى. ط. دار المنار ـ

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه مسلم فى صحيحه [٤/ ٢٠٩٦] كتاب الذكر..[٤٨] باب..[٢٥] 'ح' [٩٢/ ٢٧٣٥]، والبخارى [١١/ ١٤٠] كتاب الدعوات [٨٠] باب [٢٢] 'ح' [٦٣٤٠] والترمذى [٥/ ٢٥٠] 'ح' [٣٣٩٨] وقال: حسن صحيح، وأحمد [٤/ ١٣٠٠٧].

(٣) الحديث: حسن، أخرجه أبو داود [١٥١٠] وفى 'جامع الأصول' [٤/ ٦٣] قلت: والإلحاح ثابت فى غزوة بدر الكبرى حيث يقول أبو بكر للرسول: 'ألححت على ربك' ـ أخرجه البخارى [١٨/ ٢٥٣] 'ح' [٤٨٧٥] و[٤٨٧٧] ..وأحمد [٥/ ١٨] وقال العلامة أحمد شاكر: صحيح ـ وعند مسلم 'سقط رداؤه' [٣/ ١٣٨٤] 'ح' [١٧٦٣].

إياه تعبدون» وفى هذا الحديث يقول:

«ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟»[1].

ثامناً:

خفض الصوت بحيث يكون بين الجهر والمخافتة فيقول ﷺ: **«يأيها الناس أربعوا على أنفسكم، أى ارفقوا بها واخفضوا أصواتكم - إن الذين تدعون ليس أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً»**[2].

وقال تعالى: **﴿ أدعوا ربكم تضرعً وخيفة﴾** ويقول عن زكريا: **﴿إذ نادى ربه نداءاً خفياً﴾**.

تاسعاً:

إغتنام الأحوال التى يُقبل فيها الدعاء ومن هذه الأوقات.

(١) الثلث الأخير من الليل يقول عزّ وجلّ: **«من يدعونى فأستجب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له»**[3].

(٢) الدعاء بين الأذان والإقامة يقول ﷺ: **«الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة» قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة»**[4].

(٣) وقت السجود لقوله ﷺ: **«أقرب بما يكونُ العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا**

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه مسلم فى صحيحه [٢/٧٠٣] - كتاب الزكاة [١٢] باب [١٩] "ح" [١٠١٥/٦٥].

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى - فى المغازى - باب (٣٨) "ح" [٤٢٠٥] ومسلم فى الذكر والدعاء، باب [١٣] "ح" [٢٧٠٤] وأبو داود - الصلاة -[١٥٢٦]، وابن ماجه الأدب - باب (٥٩) "ح" [٣٨٢٤] والترمذى - كتاب الدعوات. باب [٣] "ح" [٣٣٨٥] بإختصار وقال: حسن، وأحمد فى المسند [١٩٦١٦/٧].

(٣) الحديث: صحيح، أخرجه البخارى - التوحيد [١٣/ ٤٦٤]، ومسلم - صلاة المسافرين [٦/٣٨-٣٩] وأبو داود - الصلاة [١٣٠١] والترمذى - الدعوات - [١٣/ ٣٠].

(٤) الحديث: صحيح، أخرجه أحمد فى المسند [٤/١٢٢٠١] وأبو داود فى الصلاة [٥٢١] والنسائى فى "عمل اليوم والليلة" [٦٨] [٦٩]. وابن حبان فى صحيحه [١٦٩٦] والترمذى - أحاديث شتى. باب [٣٨] "ح" [٣٦٠٥] وقال: حديث حسن. وعبد الرزاق فى "المصنف"[١٩٠٩] وابن خزيمة [١٤٢٥] والبيهقى [١/ ١٤٠].

الدعاء» [1].

(٤) عند نزول الغيث (المطر) يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾[الشورى: ٢٨].

(٥) الدعاء يوم عرفة لقوله ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قُلتُ أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير**» [2].

(٦) الدعاء يوم الجمعة، يقول ﷺ: «**إن فى الجمعة ساعة لا يسأل الله العبدُ فيها شيئاً إلا آتاه إياه**» [3] وفى حديث «**وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلى فيسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه**» [4].

(٧) كذلك الدعاء فى جوف الليل ودبر كل صلاة ويدل عى ذلك ما أخرجه الترمذى وحسنه من حديث أبى أمامة قال: **قيل يا رسول الله، أى الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل ودبر الصلوات**».

(٨) الدعاء فى وقت النداء وعند البأس وفى هذا الحديث الجامع يقول الرسول ﷺ: «**اثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضاً، وبين الأذان والإقامة، ودبر الصلوات المكتوبات، وفى السجود**»[أخرجه مالك وأبو داود].

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه مسلم فى صحيحه، [١/ ٣٥٠] ـ كتاب الصلاة [٤] باب [٤٢] 'ح' [٢١٥/٤٨٢].

(٢) الحديث: ضعيف الإسناد، أخرجه الترمذى[٥/ ٣٣٨ـ٣٣٩] 'ح' [٣٥٩٦] وقال: هذا حسن غريب من هذا الوجه وحماد بن أبى حميد هو أبو إبراهيم الأنصارى... وليس هو بالقوى عند أهل الحديث.

(٣) الحديث: أخرجه الترمذى [٢/ ٣١ـ٣٢] 'ح' [٤٩٠] وقال: حسن غريب. وابن ماجه باب [٩٩].
قُلتُ: وهذا الحديث أختلف فيه ففى اسناده: كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف: ضعيف جداً، بل قال بعضهم أنه كذاب: وتعقب الذهبى الترمذى فى تحسين حديث الصلح من روايته. إلا أن الحديث قد حسنه بعض العلماء حسنه الترمذى، وقال عن هذا الحديث الإمام البخارى: هو حديث حسن؛ إلا أن أحمد كان يحمل على كثير يضعفه، وقد روى يحيى بن سعيد الأنصارى عنه،. فهذا هو البخارى يوافق الترمذى على تحسينه، ومن أراد الزيادة فعليه بكتاب 'رياض الصالحين' بتحقيقى مع الشيخ الفاضل محمد عبد الملك الزغبى، فلقد أجاد الشيخ محمد وأفاد فى هذا الحديث.

(٤) الحديث أخرجه مالك فى 'الموطأ' [١٦] وأحمد فى 'المسند' [٣/ ٩٤١٣] والنسائى فى الجمعة باب [٤٥]، [٥٠٤] والترمذى [٢] 'ح' [٤٩١] وقال: حسن صحيح. وأبو داود فى 'الوتر' ـ باب [٢٦].

(٩) وكذلك الدعاء ليلة القدر.

عاشراً:

رفع اليدين حذو المنكبين أثناء الدعاء فلقد تواترت الأحاديث على رفع اليدين أثناء الدعاء.

قُلتُ: وهذا تواتر ضمنى، فكل قضية منها لم تتواتر والمقدار المشترك فيها وهو الرفع عند الدعاء فيكون تواتر ضمنى باعتبار المجموع. يقول السيوطى رحمه الله: قد روى عنه ﷺ نحو مائة حديث فيه رفع اليدين فى الدعاء وقد جمعتها فى جزء. أ. هـ.

ومن ذلك أيضاً استقبال القبلة أثناء الدعاء وإظهار الخضوع والإذعان لله سبحانه وتعالى.

الحادى عشر:

التوبة وصلاح باطنه فيقول تعالى: ﴿إذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى﴾ [البقرة:١٨٦] ففى الآية لفظ "عبادى" أي نسبهم الله سبحانه وتعالى إلى نفسه فهذا يدل على علو مرتبتهم .

فعليك أيها العاصى التوبة أولاً من الذنوب، وتلجأ إلى ساتر العيوب وعلام الغيوب، فإنه سبحانه وتعالى مطلع على القلوب.

وقال سفيان الثورى ـ رحمه الله: الدعاء حقيقة هو ترك الذنوب فمن تركها فعل الله تعالى به ما يختار من غير سؤال.

وقال رجل لزياد بن ظبيان ـ رحمه الله تعالى: كثر الله فى المسلمين من أمثالك فقال: لقد سألت الله شططاً وسألت للناس أن يكونوا من أهل الشر.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى: أطال الله بقاءك. فقال: هذا أمر قد فرغ منه أدع لى بصلاح الحال.

وقال رجل لعامر بن قيس ـ رحمه الله أدع الله لى، فقال: والله إنى لأستحى منه عزَّه وجلَّ أن أسأله شيئاً يسرنى فكيف أسأل لغيرى ويحك انها شفاعة ولا تكون إلا من المقربين.

أنظر أيها العاصى إلى فعل الدعاء من الصالحين إلى الله الواحد القهار:

كان فى زمن بعض السلف ـ رحمهم الله امرأة جميلة فى دار مزوقة لا تمنع

أحداً من نفسها فجلس هذا الصالح يوماً على بابها فلم يدخل لها أحد فسألت جاريتها عن ذلك فقالت: بالباب رجل صالح فقالت السيدة دعيه يدخل فلما دخل قالت له: ما حاجتك؟؟ قال: تنامين عندى ليلة واحدة. قالت السيدة: ليلتى بمائة دينار فذهب وعمل وجدّ حتى يأتى بهذا المبلغ ثم ذهب إليها بعد ذلك فأخذت المائة دينار ثم قالت له: ماذا تريد؟؟قال الصالح لها: تلبسين ثيابى وتمشين أربع خطوات أمامى، فلما فعلت ذلك، رفع الصالح يديه تجاه الباب الذى لا يغلق أبداً، تجاه جبار السموات ووالأرض، تجاه من خضعت له الملوك وأذل السلطين والخلفاء، تجاه من يقول للشىءكن فيكون. ثم قال: اللهم إنى أصلحت ظاهرها فأصلح أنت يا الهى باطنها، أنظر أيها العاصى إلى فعل الدعاء الصالح من رجل صالح إلى رب كريم سامع، والله كأنى بك أيها العاصى مثل هذه المرأة لا تمنع نفسك من الشهوات واللذات ولكن عما قليل تحمل إلى الفلوات وتدفن فيها. . .
ثم قال لها الصالح: انزعى ثوبى. قالت المرأة بلسان الصدق: معاذ الله قد تبت إلى الله.

ورحم الله القائل:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه	وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطىء ولكن	لها أمد وللأمد انقضاء
وقد شاء الاله بما تراه	فما للملك عندكم بقاء[1].

"توبة قبل الممات"

التوبة من الذنوب بالرجوع إلى علام الغيوب، وغفار الذنوب مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول اقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الإصطفاء والإجتباء للمقربين.

ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقه العبد المسالك ولا يزال فيه

(١) أحب أن أنوّه على كتاب «الجامع المتين فى شتى أمور الدين» ففيه الكثير من العبر والعظات تتساقط لها الدموع فى غمرات. علاوة على الفقه والحديث وهو تأليف الشيخ الفاضل محمد عبد الملك الزغبى. - حفظه الله . -

إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هى بداية الطريق ونهايته.

يقول تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

لقد علق الفلاح بالتوبة وأتى بكلمة لعل إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون. وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات: ١١].

فقسم العباد إلى تائب وظالم وليس ثمّ قسم ثالث، وأوقع اسم الظلم على من لم يتب.

وقال تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[الفرقان: ٧١].

أيها العصاة إنها البشارة لكم وأى بشارة، إذا كان الحق سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من أمه فكيف لا يقبل العبد على طاعته ويقلع عن معصيته ويقدم بين يديه ما يعود نفعه عليه وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾.

ورحم الله القائل:

يا من له علم الغيوب ووصفه	ستر العيوب وكل ذاك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى	كرما فليس عليه ثم جناح
فلك الفضل والتكرم والرضا	أنت الكريم الواهب الفتاح

روى أن يعقوب بن الليث أمير خراسان أصابته علة عجز الاطباء عنها فقالوا: هنا رجل من أهل الصلاح إسمه سهل بن عبد الله لو استحضرته ليدعو لك فقال علىّ به فلما حضر إليه قال له ادع الله لى أن يعافنى من هذه العلة فقال له سهل: كيف ادعو لك وأنت مقيم على الظالم فتب إلى الله أولاً، فنوى يعقوب التوبة والرجوع إلى الله والكف عن الظلم والمعاصى وأطلق المسجونين، فقال سهل: «اللهم كما رأيته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه ما يضره»، فنهض من وقته وكأنما نشط

من عقال، ثم عرض عليه المال فقال له: أتحسب أن الله يزل العاصى بالمعاصى وحين ترد عليه ويلك من المآسى، فالجأ إلى الله، فوالله المفر منه إليه لا عنه، تب إلى الله فالباب مفتوح، قبل أن تكثر الذنوب وتفوح.

يقول ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(1).

كأنى بك أيها العاصى ينُادى عليك حين الممات فيقول:

كيف تركت ما أمرتك به واتبعت ما نهيتك عنه، أما علمت أن مرجعك إلىّ وأعمالك معروضة بين يدى، أنسيت عهدى، أم أنكرت وعيدى ووعدى، فالآن تخلى عنك الصاحب والصديق وتجردت عن المال الوثيق فلا المال نفعك فى مآلك، ولا الصديق أخلصك من قبيح أفعالك.

فما حجتك ومعذرتك.

وكأنى بك تجيب على قول الله هذا فتقول:

يارب احتوى على قلبى حب الدنيا وحب المال فحملانى على الذنوب والاثقال، وهنا، أنا قد صرت فى جوارك، وأنا الليلة ضيفك فلا تعذبنى بنارك وان لم ترحمنى فمن يرحمنى؟!!

فيأتيك قول الجبار وكأنى به بهز قلوب العصاة!

يا عبدى مضوا عنك وتركوك، ولو أقاموا عندك ما نفعوك وإلى بابى وجهوك وعلى كرمى خلفوك يا عبدى طب نفسا وقر عينا فأنت ضيفى والكريم لا يخيب ضيفه، يا ملائكتى أحسنوا فى ضيافته وكونوا عليه أشفق من أهله وقرابته.

ولكن أيها العاصى من نظنه هذا العبد فهو العبد التائب، فعلى حبال الله ماسك، وعلى سنة رسول الله ﷺ سالك، وأين أنت؟يا ويلك فى المهالك، ولن ينفعك

---

(1) الحديث: صحيح، أخرجه أحمد فى "المسند" [٢/ ١٣٢] والترمذى [٥/ ٥٤٧] - كتاب الدعوات [٤٩] باب [٩٩] "ح" [٣٥٣٨] وابن ماجه [٢/ ١٤٢٠] - كتاب الزهد [٣٧] باب [٣٠] "ح" [٤٢٥٣]. والحاكم فى "المستدرك" [٤/ ٢٥٧] وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره ووافقه الذهبى. وابن حبان فى صحيحه [٦٠٧/ ٢٤٤٩] - موارد- وابن ماجه من طريق الوليد بن مسلم. والبغوى [١٣٠٦]. وحسنه الشيخ الألبانى. وراجع المشكاة برقمى [٢٣٤٣] و [٢٤٤٩] وصحيح الجامع برقم [١٩٠٣].

حينئذ مالك.

ورحم الله القائل:

يا راحم الغرباء يا من جوده قد عمنى يا مؤنسى فى وحدتى
أمسيت من أهلى غريباً مفرداً ولا أنت يا مولاى راح غربتى

أيها العاصى، قف مع نفسك واسألها لماذا تعصين الله، أمن أجل شهوة فانية ابيع شهوة باقية؟!!!.

أمن أجل رزق والرزق مقسوم؟!! أمن أجل أكلة أكلتها من حرام فعما قريب سيأكلنى الدود؟!!!

أمن أجل طاعة الشيطان وتعصين الله الرحمن؟!!

أمن أجل مشاركة فرعون وهامان فى النار، وترك جنة الواحد الجبار؟!!!

أمن أجل ترك سنة الرسول وتسلكين سنة ابليس الملعون؟!!

أمن أجل زوجة حقيرة، وأترك حوراء جميلة؟!!!

إذن قل لنفسك بقول القائل:

خبز وماء وظـــل هو النعيم الاجل
جحدت نعمة بى ان قلت أنى مقل

وانظر إلى هذا الموقف لعله يقع على الذنوب، فيقطع العيوب، بإذن علام الغيوب:

روى أنه كان فى زمن اسرائيل أخوان مؤمن وكافر وكانا صيادين فى البحر فكان الكافر يسجد للصنم ثم يطرح شبكته فى البحر فتمتلىء من السمك حتى يثقل عليه اخراجها وكان المؤمن يطرح شبكته فيقع فيها سمكة واحدة وهو حامد لله شاكر صابراً لقضائه، وقدره أن صعدت زوجته يوماً على سطح بينها فنظرت إلى امرأة أخى زوجها الكافر مزينة بالحلى والحلل فاشتغل قلبها ووسوس لها الشيطان فقالت امرأة الكافر: قولى لزوجك يعبد إله زوجى حتى يصير لك مثل

مالى فنزلت وهى مغمومة فدخل عليها زوجها المؤمن فوجدها متغيرة اللون. فقال لها: ما شأنك؟؟ فقالت: اما تطلقنى واما تعبد اله أخيك، فقال لها: يا أمة الله أما تخافين الله أتكفرين بعد إيمانك، فقالت: لا تكثر الكلام علىّ ولا أكون عريانة وغيرى بالحلى والحلل. فلما رأى منها الجد فى قولها قال لها: لا تجزعى وفى غد إن شاء الله أمضى إلى دار الفعلة [العمل باليومية] أعمل كل يوم بدرهمين أدفعهما لك لتصلحى بهما شأنك فرضيت بذلك وسكن ما بها، ثم بكر الرجل إلى دار الفعلة وجلس بينهم فلم يأخذه أحد فلما أيس ممن يستعمله مضى إلى ساحل البحر وعبد الله إلى الليل وهو يدعو الله ويبكى ويتحب، ثم انصرف إلى منزله، فقالت له زوجته: أين كنت فقال الزوج المسكين: كنت عند الملك [يعنى الله] وقد واعدنى وشارطنى على عمل ثلاثة أيام فقالت له: كم يعطيك الملك؟ فقال: الملك كريم وخزائنه ملآنه، غير أنه شارطنى على أحد وثلاثين يوماً ويعطينى ما أريد فصدقته، فصار يمضى كل يوم إلى موضعه يعبد الله عزّ وجلّ ويبكى حتى جاءت ليلة الثلاثين فقالت له زوجته: ان لم تأتنى فى غد بالكراء فطلقنى فخرج الرجل وهو خائف من ذلك فوجد يهودياً فقال له: أنت تشتغل: قال: نعم. فشارطه أن لا يأكل عنده شيئاً فصام الرجل ذلك اليوم، فأوحى الله تعالى إلى ملك من الملائكة أن اجعل تسعة وعشرين ديناراً فى طبق وامض بها إلى زوجة المؤمن فأوصلها إليها وقل لها: أنا رسول الملك إليك وهو يقول لك كان زوجك فى عملنا فما تركناه حتى تركنا ومضى مع يهودى وهذا النقص بسبب ذلك ولو زاد لزدناه فأوصلها إليها وبلغها الرسالة، ثم انها أخذت ديناراً من ذلك ومضت إلى السوق فأوصلوها فيه ألف درهم لأنه كان مكتوب عليه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلما أتى الرجل إلى منزله، قالت له زوجته: أين كنت يا هذا؟ قال: كنت أعمل عند اليهودى لأن الملك بخل علىّ، فقالت له: يا مسكين كيف تترك خدمة الملك وتخدم غيره وأخبرته بما جرى فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق تاب

إلى الله ولزوم عبادته[1].

يقول الإمام على - رضي الله عنه: احذروا النساء فان فيهن ثلاث خصال من اليهود، يتظلمن وهو ظالمات ويحلفن وهن كاذبات، ويتمنعن وهن راغبات.

ورحم الله القائل:

تعصى وتجهر بالعصيان اعلانا	واستر الذنب إنعاماً واحساناً
ولا أجازى مسيئا بالفعال ولا	أجزى الذى تاه عصياناً وعدواناً
ومن أتى تائباً منكسراً	نعطيه من فضلنا عفوا وغفرانا.

شروط التوبة

وقبل أن نسترسل فى قصص التائبين، وزاد الصالحين، ومعين المؤمنين، إلى التوبة لرب العالمين. نأتى بشروط التوبة.

يقول الإمام النووى[2] - رحمه الله: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى، فلها ثلاثة شروط:

أحدهما: أن يقلع عن المعصية

والثانى: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً، فإن فُقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حقٍّ صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وان كانت غيبة استحله منها، ويجب أن يتوب من جميع

---

(١) أنظر: المصابيح" [٢/ ١٥٠-١٥١] وكذلك "الجامع المتين فى شتى أمور الدين" للشيخ محمد عبد الملك الزغبى، وأبو بكر فى كتاب الفرج. قُلتُ: يجوز حكاية هذا الخبر الإسرائيلى لأننا علمنا صحته مما فى أيدينا وراجع كلام شيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير. وقد نقلناه.، وقد روى أحمد فى الزهد بنحوه إلا أن فيه أن الله اطلع الملك على مكان المؤمن فى الجنة والكافر فى النار..، وقد ذكره المعيبرى فى كتابه "الذنوب" [ص/ ١١-١٢].

(٢) النووى هو: الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مِرىَ الحورانى الشافعى، ولد سنة ٦٣١هـ. وتوفى سنة ٦٧٦هـ. وراجع ترجمته فى الشذرات [٥/ ٣٤٥] والعبر [٥/ ٣١٢] وتذكرة الحفاظ [٤/ ١٤٧] والبداية والنهاية[١٣/ ٢٧٨] والدارس [ص/ ١-٢١-٣٩-١٣٥-٢٦٨]للنعيمى، وذيل مرآة الزمان [٣/ ٣٨٣-٣٨٤]. وراجع ترجمته بزيادة فى "رياض الصالحين" [ص/ ٢-٣-٦] - بتحقيقى مع الشيخ الفاضل محمد عبد الملك الزغبى .. ط. المنار.

الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقى عليك الباقى، وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، واجماع أهل الأمة على وجوب التوبة.

ويقول ﷺ: **«كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»**[1].

ويقول أيضاً: **«إن الله جعل بالمغرب باباً عرضُه مسيرة سبعين عاماً للتوبة، لا يُغلق مالم تطلع الشمس من قبله، وذلك قوله تعالى: ﴿يوم تأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾**[2].

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما: **«فى قوله: ﴿إلا اللَّمَم﴾ قال رسول الله ﷺ:**

إن تغفر اللهم تغفر جماً وأى عبد لك لا ألما»[3].

ويقول ﷺ: **«لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»**[4].

---

(١) الحديث: صحيح، أخرجه أحمد فى "المسند" [٣/ ١٩٨] والترمذى [٤/ ٦٥٩] - كتاب صفة القيامة [٣٨] باب [٤٩] "ح" [٢٤٩٩] وابن ماجه [٢/ ١٤٢٠] - كتاب الزهد [٣٧] باب [٣٠] "ح" [٤٢٥١] والدارمى فى السنن [٢/ ٣٠٣] وهى عنده بلفظ: «وخير الخطائين التوّابين» وحسنه الشيخ الألبانى. وراجع المشكاة برقم [٢٣٤١] وصحيح الجامع برقم [٤٥١٥].

(٢) الحديث: صحيح، أخرجه أحمد [٤/ ٢٤١] والطيالسى [١١٦٨/١٦١-١٦٠] وابن ماجه [٢/ ١٣٥٣] - كتاب الفتن [٣٦] "ح" [٤٠٧٠] والترمذى [٥/ ٥٤٦-٥٤٧] - كتاب الدعوات [٤٩] "ح" [٣٥٣٦] وقال: حسن صحيح، والطبرانى فى الكبير [٨/ ٧٠] "ح" [٧٣٦٠] والبيهقى [١/ ٢٨٢] - الكبرى، والسيوطى فى "الدر" [٣/ ٥٩] والطبرى فى "جامع البيان" [٨/ ٧٢]

(٣) الحديث: صحيح، أخرجه الترمذى [٥/ ٣٩٦-٣٩٧] - كتاب تفسير القرآن [٤٨] "ح" [٣٢٨٤] وقال: حسن صحيح غريب. وأحمد فى المسند [٢/ ٣٩٧١] والنسائى - الكبرى - [٦/ ١١٥٤١] والطبرى فى "جامع البيان" [٢٧/ ٣٠] وابن خزيمة [١/ ٥٠٤] - توحيد، والطيالسى [٣٢٣] وابن منده [٧٥١]و [٧٥٢] والحاكم [٢/ ٣٧٤٦] وصححه على شرط الشيخين. ووافقه وأقره الذهبى. والسيوطى فى "الدر" [٦/ ١٢٣].

(٤) الحديث: صحيح. أخرجه أحمد فى المسند [٤/ ٩٩] وأبو داود [٣/ ٧-٨] كتاب الجهاد [٩] "ح" [٢٤٧٩] والمزى فى "تحفة الأشراف" [٨/ ٤٥٤] "ح" [١١٤٥٩] عزاه للنسائى، والسيوطى فى "الدار" [٣/ ٥٩]، والدارمى [٢/ ٢٣٩-٢٤٠] - السير. وصححه الشيخ الألبانى. وراجع المشكاة برقم [٢٣٤٦] والإرواء برقم [١٢٠٨] وصحيح الجامع برقم [٧٤٦٩].

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله: هى أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه.

وقال الكلبى ـ رحمه الله تعالى: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله: النصح فى التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

أولاً: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته.

ثانياً: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولاتلوم ولا انتظار بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادراً بها.

ثالثاً: خليصها من الشوائب والعلل القادحة فى إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته..

فهيا يا مسكين، تخلص من هذا العذاب الأليم، وتب إلى الله الغفور الرحيم، وستجد عنده الخير الوفير الغزير، **فهيا إلى الله الرؤف الرحيم**.

أيها العاصى ألا تخجل من ذكر الله وأنت تعصيه؟!!!!

كان الحسن بن صالح ـ رحمه الله تعالى: يؤذن مرة فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فغشى عليه فحملوه من المنارة ونزلوا به وصعد أخوه فأذن وصلى بالناس والحسن فى غشيته، وكان يقول عنه سليمان الدارنى ـ رحمه الله: ما رأيت أحدا أكثر خشوعاً من الحسن يعنى ابن صالح قام ليلة إلى الصباح بسورة عم يتساءلون يرددها ويغشى عليه إلى الفجر ولم يتم السورة وكان كلما غشى عليه يجدد الطهارة.

أيها العاصى ألا تتفكر فى أهوال القيامة:

قال أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله: صلى سفيان الثورى ركعتين خلف المقام ثم نظر إلى السماء فانقلب مغشياً عليه قال الدارانى: وما فعل به ذلك إلا مجرد نظرة إلى السماء وإنما ذلك من التفكر فى أهوال القيامة.

أيها العاصى ألا تكف عن ظلم أخيك فى عضه أو ماله:

قال سفيان الثورى ـ رحمه الله: لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه

أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

أيها العاصى تذكر فضيحتك يوم العرض والناس قيام ينظرون.

كان أبو عبد الله السمرقندى - رحمه الله اذا مدحه أحد يقول: **والله ما مثلى ومثلكم** إلا جارية ذهبت بكارتها بالفجور وأهلها لا يعلمون بذلك، **فهم يفرحون** بها ليلة الزفاف وهى حزينة خوف الفضيحة.

أيها العاصى هلا تذكرت ساعة وفاتك، وحينئذ تتذكر حسراتك.

لما حضرت الوفاة محمد بن المنكدر قال وهو يبكى: أبكى على ذنوبى التى رأيتها هينة وهى عند الله عظيمة.

ولما حضرت الوفاة محمد بن سيرين جعل يبكى فقيل ما يبكيك يا إمام ؟قال: أبكى على تفريطى في الأيام الخالية وادخالى النار الحامية.

دخلوا على عتبة الغلام وهو فى مرض موته فقالوا كيف تجدك فقال[1]:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى	غداة يقل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا	خروجى وتعجيلى اليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط صورتى	غداة آتى يوم القيامة علىّ وليلتى

ولما مرض أبو بكر بن عياش - رحمه الله دخل عليه طبيب نصرانى فمنعه أن يمس يده فلما قام النصرانى أتبعه أبو بكر بصره ثم قال: يارب كما عافيتنى من بلائه الذى هو الكفر فافعل بى ما شئت.

طُرفة: كان حاتم الأصم إذا رأى بخيلاً يتصدق فى مرضه يقول: اللهم أدم مرضه فإنه تكفير لخطاياه وأفضل للفقراء.

ولما مرض وهيب بن الورد سير إليه بطبيب نصرانى فقال له الطبيب ما تجد؟ قال: معاذ الله أن أخبرك بما بى، فقال له القوم: أخبرنا نحن ونحن نخبره، فقال:

(١) لقد شرعت ولله الحمد فى كتاب يضم أخلاق الصحابة والتابعين والسلف الصالح فى غالب الأمور تحت إسم «أنيس الصالحين وزاد المؤمنين إلى رب العالمين» وهذه المواقف من كتابى هذا - ولله الحمد والمنة.

مسبحان الله أين هذه العقول؟ أتأمرنى أن أشكو الله ربى إلى عدو من أعدائه قوموا عنى أجمعون.

ولما بلغ يزيد بن عبد الملك وهو مريض أن هشاماً سُرّ بمرضه وتمنى موته أنشأ يقول:

تمنى رجال أن أموت وان أمت — فتلك سبيل لست فيها بأوحـد

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى — تهيأ لأخرى مثلها فكأن قـد

" توبة شاب "

يروى: أنه كان بالبصرة شاب يقال له رضوان، كثير اللهو والعصيان والتيه والطغيان، يبيت الليالى بالخمر سكران، قد غلبت شقوته وأغواه الشيطان، فبينما هو فى بعض الليالى معتكف على شرب المرام ومعه جماعة من أصحابه المواقعين له على الذنوب والآثام إذ سمع رجلاً فقيراً ينشد فى الطريق ويقول:

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل — خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل لمحـة — ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فبكى الشاب وقال: بالله عليك يا فقير إلا ما أعدت قولك فاقسم عليه الشاب أن يحضر مجلسهم وقال له الغلام: غن لنا وأطرب. فقال الفقير:

تعص الإلـه وأنت تـأكل رزقـه — ويـراك إذ من خلقه تتكتم

فاحذر فما حاولت أمراً منكراً — الا ويـنـظـره لـديك ويعلم

وقـد وافـيت بابكـموا مـنيـباً: — أنا العبد الفقير مددت كفى

وظل ينشد إلى أن قال:

وواحزناه من حشرى ونشرى — ليوم يجعل الولدان شيبـا

فيا مولاى جد بالعفو وارحم — عبدا لم يزل يشكوا الذنوبا

وسامح هفوتى وأجب دعائى   فإنك لم تزل أبداً مجيبـــاً

فلما سمع الغلام هذا الكلام سقط على الأرض، فلما حركوه فإذا به قد مات.

" موعظة " (١).

خرج أحد السلف وكان يخاف على نفسه المعصية فكان اذا دخل السوق ربط عصابة على عينيه ويأخذ بيده غلام، فلما كان فى يوم، قال له الرجل: يا غلام أين نحن؟؟ قال الغلام: عند المقابر، فنزع الرجل العصابة ما أن نزعها وقع بصره على المقابر فقال: واذنباه واذنباه وهو يبكى وينتحب حتى سقط على الأرض ميتاً - رحمه الله.

هيا أيها العاصى أقبل على ربك واترك المعاصى.

كان يحيى بن معاذ - رحمه الله تعالى يقول: اللهم إن إبليس لك عدو وهو لنا عدو ولا تغيظه بشىء هو أنكى عليه من عفوك فاعف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

سئل سفيان بن عينية - رحمه الله ما علامة التوبة النصوح؟؟

فقال: أربعة أشياء، قلة الدنيا وذلة العيش وكثرة التقرب إلى الله تعالى بالطاعات ورؤية القلة والنقص فى ذلك.

قال بكر بن عبد الله المزنى - رحمه الله: لو أن مذنباً طاف على سائر المجالس والأبواب وهو يقول: أستغفر الله لى لكان ذلك أولى من سؤاله لهم اللقمة والخلقة ونحوهما.

ورحم الله القائل:

أنا العبد الذى كسب الذنوبا   وصدته المعاصى أن يتوبـــا

(١) انظر كتابنا «أنيس الصالحين وزاد المؤمنين إلى رب العالمين» - وفيه الرواية كاملة - [لم يطبع بعد]

أنا العبد الذى أضحى حزيناً على زلاته دنفا كئيبــــــــــاً
أنا العبد الذى سطرت عليه صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسيء عصيت ربى فما لى الآن لا أبدى النحــيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمرى ولم أرع الشبيبة والمشيبــــــا
أنا العبد السقيم من الخطايا وقد أقبلت ألتمس الطبيبـــا
أنا العبد المخلف عن انـاس حووا من كل معروف نصيبــاً

أيها العصاة: لقد خسر من طلب الفانى وهو عنه راحل أما يشهد حادى الحديد وهو يطوى من العمر المراحل أما الليل والنهار مرصدان لحمل الأعمال بالرواحل أما ترى من قيل بظلها كيف زال بظلها الزائل أما ترى من عمر اذا سئل قال: لبثت أياماً قلائل، أما ترى من شيد الحصون وعقل العقائل أبادهم بسيف الحمام فكل عن ملكه زائل أين نوح وعاد وثمود وتبع والملوك الا وائل أين من اندرست معالمهم وعادت دروساً تُدرس ليعتبر الظالم والجاهل، أما تسمع نداءهم وهم صموت أما تتعظ بهم يا عاصى؟؟!!!!

" توبة صاحبة الطار "

قال صالح المرى ـ رحمه الله تعالى: رأيت جارية بالطار فمرت يوماً على قارىء يقرأ قوله تعالى: **﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾** فرمت الطار من يدها وصرخت ثم سقطت إلى الأرض مغشياً عليها فلما أفاقت كسرت الطار وأخذت فى العبادة والإجتهاد حتى شاع ذكرها قال صالح: فدخلت عليها يوماً فكلمتها فى الرفق بنفسها وهى تبكى: ليت شعرى أهل النار من قبورهم كيف يخرجون وعلى الصراط كيف يعبرون ومن أهوال يوم القيامة كيف يخصون وللحميم يتجرعون ولتوبيخ المولى كيف يسمعون، ثم سقطت على الأرض مغشياً عليها. فلما أفاقت

قالت: يا مولاى عصيتك وأنا غضة رطبة، وها أنا يابسة خشنة أتراك تقبلنى ثم قالت: أواه كم من فضيحة تكشفها القيامة غداً ثم صرخت وبكت فلم يبق أحد فى المجلس حتى غشى عليه من شدة البكاء. أ هـ.

ورحم الله القائل:

أستغفر الله مما كان من زللى ... ومن ذنوبى وتفريطى واصرارى

يارب هب لى ذنوبى يا كريم ... أمسكت حبل الرجا يا خير غفار

وقال آخر:

تعطف بفضل منك يا مالك الورى ... فأنت ملاذى سيدى ومعينى

لئن أبعدتنى عن جنابك زلتـــــى ... فان رجائى فيك حسن يقينى

وظنى جميل اننى منك أرتجـــــى ... عواطفك الحسنى فخذ بيمينى.

" إسلام الرهبان "

كان الشيخ أبو مدين ـ رحمه الله تعالى فى مدينة الأندلس فسمع به رهبان دير يعرف بدير الملك وكانوا سبعين نفراً من أكابرهم عشرة بسبب الامتحان فتنكروا ولبسوا زى المسلمين ودخلوا المسجد وجلسوا مع الجالسين ولم يعلم بهم أحد، فلما أراد الشيخ أن يتكلم سكت حتى دخل رجل خياط، فقال له الشيخ: ما أبطأك، فقال: حتى فرغت العشرة طواقى[قلنسوة] التى أوصيتنى عليها البارحة فاخذها الشيخ منه ونهض قائماً كل واحد من الرهبان طاقية فتعجب الناس من ذلك ولم يعلموا الخبر، ثم شرع الشيخ فى الكلام فى تفسير آية سجدة فسجد الشيخ وسجد الناس فسجد الرهبان خشية الفضيحة والإستهار، فقال الشيخ فى سجوده، اللهم انك تعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك وان هؤلاء الرهبان قد

وافقوا المسلمين فى لباسهم والسجود لك وأنا قد غيرت ظواهرهم ولم يقدر على تغيير بواطنهم غيرك وقد أجلستهم على مائدة كرمك فأنقذهم من الشرك والطغيان وأخرجهم من ظلام الكفر إلى نور الإيمان. فما رفع الرهبان رؤسهم من السجود إلا وقد قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وانتشر الخبر وكثر الصياح والبكاء فى المسجد وكان يوماً مشهوداً.

أيها العصاة: سار المتقون ورجعنا وواصلنا وانقطعنا وأصابوا وامتنعنا، ونجوا من الاشراك ووقعنا تعالوا ننظر فى آثارهم وندرس دارس أخبرهم ونبكى على ما نابنا ونندب على ما لحقنا وأصابنا.

تذكرت أيامى وما كان من الصبا ... من الذنب والعصيان والجهل والجفا
وكيف قطعت العمر سهوا وغفلة ... فاسكبت دمعى حسرة وتلهفها
وناديت من لا يعلم السر غيره ... ومن وعد الغفران من كان قد جفا
وعاد إليه من كبار ذنوبه ... فجار عليه بالجميل تعطفا
أغثنى الهى واعف عنى فاننى ... أتيت كئيبا مذنبا تلهفا.

ورحم الله القائل:

وقال وهب بن منبه: كنا معاشر بنى آدم نسلا من نسل الجنة فسبانا إبليس وأخرجنا منها إلى دار الفناء والبوار فلا ينبغى لعاقل أن يفرح ويطمئن إلا بعد عودة إلى الدار التى خرج منها.

وقال سفيان بن عينيه ـ رحمه الله تعالى: "الزهد ثلاثة حروف فمعنى الزاى أن تترك زينة الدنيا ومعنى الهاء أن تترك هوى نفسك ومعنى الدال أن تترك الدنيا

بسرها فإذا فعلت ذلك فأنت زاهد.

كان سفيان الثورى ينشرح إذا رأى سائلا على بابه ويقول: مرحبا مرحبا بمن جاء يغسل ذنوبى.

وكان الفضيل بن عياض ـ رحمه الله يقول: نعم السائلون يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة حتى يضعونها فى الميزان بين يدى الله.

وكان إبراهيم ابن أدهم ـ رحمه الله قبل زهده فى الدنيا اذا جاءه سائل يدخل إلى عياله ويقول لهم: قد جاءكم رسول المقابر فهل توجهون إلى موتاكم شيئاً من الصدق[1].

فستندمون يوم يفر الوالد من الأولاد، وتختلف الأمور ونفخ فى الصور، فأين الحسرات على فوات أمس، أين العبرات على مقاسات ظلمة الرمس، أين ما أعددتموه ليوم لا تجزى فيه نفس عن نفس وستذهل اذا خشعت الأصوات فلا تسمع إلا همسا، وتعلق الصحائف فى النحور وتغلى النيران فى الصدور، ونفخ فى الصور.

ردد أيها العاصى وقل:

إذا ما قـــال لى ربـــى أما إستحييت تعصينى
وتخف الذنب عن خلقى وبالعصيان تأتينــى
فمــا قولـــى لـه ـــا يعاتبنـــى ويقصينـــى

آه على قلوب لم تتفكر فى يوم الموت والرحيل آه على جنة عدن وظل ظليل، آه على قسوة سلكت بالقلب إلى النار بئس السبيل، آه على شراب من سلسبيل، آه على نعيم نعم مقيل، آه علي قلب بالذنوب عليل، آه على من شد عزمه للطاعة فأصبح وهو نبيل، آه على سابق إلى الرشد دليل أم آن لك يا مسكين أن تقطع عن هواك، أما آن لك أن ترجع إلى باب مولاك، أنسيت خولك وأعطلك، أما خلقك فسواك، أما عطف عليك القلوب وبرزقة غذاك أما ألهمك إلى الإسلام وهداك؟! أما قربك بفضله وأدناك؟! أما بره فى طرفة عين بغشاك؟! فقبلت ذلك كله بالغفلة وركوب الشهوات البادرة بالخطايا والزلات فنقضت عهده وعصيت أمره

(١) رجع كل هذه الآثار فى كتابنا «انيس لصلحين ورد لؤنين إلى رب لعلين» [لم يطبع بعد].

ودمت على الإصرار وأطعت هواك وخالفت الجبار أما آن لك أن تستحى من شاهدك على المعصية ورآك مع الحرمان والبعد عن مولاك إن عدت إليه قبلك وارتضاك، وإن لزمت خدمته قربك وأدناك.

ورحم الله القائل:

بكت عينى على ذنبى وما لاقيت من كربى
فيا ذلى ويا خجلى إذا ما قال لى ربى
أما إستحييت تعصينى ولا تخشى من العتب
وتخفى الذنب من خلقى وتأبى فى لهوى قربى
فتب مما جنيتُ عسى تعود إلى رضا الرب

وقيل صعد ابن عمار المنبر فأخذ فى الوعظ والتخويف والزجر والتعنيف حتى كادت النفوس تهيم قلقًا وتموت فرقًا، وكان فى المجلس شاب مسرف على نفسه خائف من حلول رمسه فانصرف وقد أثرت المواعظ فى قلبه وندم على ما كان من ذنبه، وأتى إلى أمه وقال لها يا أماه دونك وما تريدين من كسر لهو الشيطان وما كنت أعددت لمعصية الرحمن وأخبرها بحضوره مجلس ابن عمار وما حصل له من الندم على الذنوب والأوزار، فقالت أمه: يا ولدى الحمد لله الذى ردك إليه ردًا جميلاً وأنقذك من ذنوب كنت بها عليلاً وإنى لأرجو أن يكون الله تعالى قد رحمك ببكائى عليك وقبلك وأحسن إليك فكيف كان حالك يا ولدى عند سماع المواعظ فأنشد يقول:

شمرت للتوبة أذيالى وصرت ذا طوع لعذالى
لما دعا الواعظ قلبى إلى طاعة ربى انحل إقفالى
يا أم هل يقبلنى سيدى على الذى قد كان من حالى
وا سوأتى أن ردنى خائبًا أوصد عنى حين إقبالى

ثم أقبل على صيام النهار وقيام الليل وقد نحل جسمه وذاب لحمه واصفر

لونه. فأتته أمه بقدح فيه سويق وقالت له: أقسمت عليك يابنى بالله إلا ما شربته، فقد أجهدت نفسك فلما صار القدح فى يده جعل يبكى ويضطرب ويذكر قول الله تعالى: ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه﴾ صرخ صرخة عظيمة وخر ميتًا.

هذا والله مقام الخوف يا من ضيع زمانه فى لعل وعسى وسوف.

إخوانى: إن كنتم عاصين فقولوا أجمعين لا إله إلا الله فإنه يكفر الذنوب والعصيان وإن كنتم طائعين فجددوا إيمانكم بقول: لا إله إلا الله فإنها تجدد الإيمان وتحرز الأمن والأمان والعفو والغفران من الملك المنان.

ما ضـــل عبـد وأنت ترشــــده   وكيف يشقى مـن أنت تسعده

أم كيف يطفى اللهيب من كبدى   والشوق منـــى إليـــك يوقـــده

أيها العاصى

تذكر الموت وسوء الخاتمة[1]:

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨].

تذكر أيها العاصى أن هادم اللذات ومفرق الجماعات قد يهجم عليك وأنت متلبس بمعصية تسخط الله تعالى منك فالمرء فى العادة يموت على ما عاش عليه، ويبعث يوم القيامة على ما مات عله، ففى حال السياق والتفاف الساق لا يتذكر الإنسان حال موته إلا ما كان مشغولاً به حال حياته وما كان قلبه متعلقًا به حال جلواته وخلواته، لذلك تبرز فى حل النزع كثير من الفضائح، ويخرج العبد من الدنيا وقد تبدلت فيه الأقوال، وانكشفت ستر الله عليه فى أصعب الأحوال، لذلك جاء فى الذكر الحكيم عن الرحمن الرحيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]. أى أطيعوه فلا تعصوه واشكروه ولا تكفروه واذكروه ولا تنسوه ولازموا طاعته فهى حبل النجاة من سوء الخاتمة فالمداومة على الطاعات بريد الموت على الإيمان.

لذلك يستحسنا رسولنا الكريم ﷺ إلى المبادرة بالطاعات وزيادة الحسنات قبل هجوم الصوارق والعوارض فيقول: «بادروا بالأعمال الصالحة سبعا: فهل تنتظرون إلا فقرًا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدًا أو هرمًا مفندًا أو موتًا مجهزًا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر»[2]

وقد وعد الله تعالى الذين خلط الإيمان بشاشة قلوبهم واستقاموا على منهاج ربهم ولم يروغوا روغان الثعلب فيعملون بما وافق ويتركوا ما خالفه بالتثبيت والتأييد يوم تتخلى عنهم كل القوى ويصبحون مرتهنون بأعمالهم مجزيون

---

(١) راجع كتاب أيها العاصى تذكر/ عبد اللطيف هاجس دار الأندلس.

(٢) الحديث: ضعيف، أخرجه الترمذى رقم [٣٠٦] عن أبى هريرة، والحاكم فى «المستدرك» وضعفه الشيخ الألبانى وراجع «السلسلة الضعيفة» رقم [١٦٦٦].

بأفعالهم ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند مواطن الهلكة ومنها الموت ﴿أن لاتخافوا عليهم﴾ على ماأمامكم ﴿ولا تحزنوا﴾ على ماخلفكم ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1] .

أما الذين ظلموا أنفسهم بالذنوب وقدموا أيديهم سيئات تنوء بحملها الجبال فإذن الله قد توعدهم بالإضلال يوم يكونون أحوج ما يكونون للتثبيت والنصرة؟ والجزاء من جنس العمل فنصر الله على نفسه حال قوته كان جزاؤه أن ينصره الله على عدوه حال ضعفه وفقره وحاجته ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[2] .

ومن كان الشيطان مستوليا عليه وقد تمكن منه فى حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه وفطنته واستعمله فيما يريده منه من المعاصى والذنوب، فكيف الظن به عند سقوط قواه وانشغال قلبه بما هو فيه من ألم النزع والسكرات وشدة الألم والكربات، وقد جمع الشيطان له كل قواه ، وجلبه عليه بخيله ورجله، وحشد عليه بجميع من يقدر عليه لينال منه غرضه ، ونادى فى أعوانه وذبانيته: عليكم به، فإنه إن فاتكم لم تدركوه فإن هذا هو آخر العمل؟ فأهوى ما يكون عليه الشيطان فى ذلك الوقت وأضعف مايكون هو فى تلك الحالة، فن ترى يسلم عند ذلك؟! هنالك ﴿يثبتوا الذين آموا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة. ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء﴾ . .

ولا تسأل عن هلك؟ كيف هلك؟ إنما إسأل من نجا؟ كيف نجا؟ ولا يهلك على الله إلا هالك .

وقد سمعنا كثيرا من القصص عمن ساءت خاتمتهم وخابت عاقبتهم فى حال قولهم وانصرام أمرهم فكان فى حالهم عبرة وفى قصصهم ذكرى. والكيس من دان نفسه.

وعمل للموت ومابعده، فكن ياعبد الله من المعتبرين ولا تكن أنت عبرة لمن خلفك من الناس أجمعين .

---

(١) سورة فصلت : آية [٣٠]

(٢) سورة إبراهيم : آية [٢٧] .

فهذا الشاب فى مقبل عمره وريعان شبابه كان معرضا عن الله غافلاً عن خالقه ومولاه وقع له حادث سيارة وكان مضرجا بدمائه فى حالة سيئة يُرثى له فاقترب منه أحد الناس فوجده فى حالة النزع يعانى من سكرات الموت فأراد أن يذكره بالشهادة فلعله يختم له بخاتمة السعادة كما كما ندب إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»**[1] **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[2] .

فقال الرجل: قل لا إله إلا الله: فرفع ذلك الشاب المصاب رأسه وكان دمه يثعب وقال بلهجة عالية «ماصليت ولا بصلى . . روح لله يلعن دينك»!!! ثم قضى نحبه وهلك. فتأمل رحمنى الله وإياك ووقانا الخاتمة بما ختم له مع أنه لم يأمره بالصلاة ومات على هذه الكلمة الكفرية. فنعوذ بالله من سوء الخاتمة، وذلك شاب آخر حصل هل حادث فجاء أحد المسلمين فوجده يعانى من شدة الموت والنزع وأحس به وكأنه يتمزق من شدة الألم وعذاب الألم وذكره بالشهادة فأجابه بعد إلحاح : أنا فى سقر . . أنا فى سقر . . ومات عليها . فسأل الرجل عن أهل الميت حتى دل عليهم فسأله عن خبره فقالوا: إنه كان لا يصلى، وصدق لله حين أخبر عن المجرمين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[3] .

وروى عن عجوز قد بلغت من العمر عتيًا كانت تقع فى أعراض الناس وتغتابهم وتأكل فى لحومهم وقف إبنها بجوار رأسها يذكرها الشهادة عند احتضارها فردت عليه بعد أن كررها على سمعها مرارًا وقالت: والله يابنى إنها أثقل علىّ من الجبال الراسيات. فلا حول ولا قوة إلا بالله والمعصوم من عصمه الله تعالى .

ويذكر أن شابا كان فى حال السياق يغنى ويدندن ويردد أغنية تلك الشقية هل رأى الحب سكارى مثلنا ومات !!!:

عاش عليها ومات عليها وسيبعث يوم القيامة عليها . يوم يبعث الله الشهيد

---

(١) راجع صحيح سنن ابن ماجه (١١٨٥) عن أبى هريرة .

(٢) الحديث صحيح. أخرجه أحمد فى المسند [٥/٢٤٧]، وأبو داود فى سننه [٣/٤٨٦] كتاب الجنائز [١٥] «ح» [٣١١٦]، والحاكم فى «المستدرك» [١/٣٥١] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى. وصححه الشيخ الألبانى. وراجع. الإرواء برقم [٦٨٧]، والمشكاة برقم [١٦٢١].

(٣) سورة المدثر : (٤٢) .

دمه يثعب. اللون لون الدم والريح ريح المسك [١] «ويبعث الله المحرم بالنسك ملبيًا»[٢] وهو يردد لبيك اللهم لبيك.. لبيك لاشريك لك لبيك، وهذا العاصى يبعث ويردد هل رأى الحب سكارى

فتأمل أيها العاصى ـ متى جاءه الموت وعلى أى حال أتاه وكلنا ينتظر الموت ـ

برئنا إلى الله من معشر	بهم مرض من سماع الغنى
وكم قلت: ياقوم أنتم على	شفا جرف مابه من بنا
شفا جرف تحته هوة	إلى درك، كم به من عنا
وتكرار ذا النصح منا لهم	لتعذر فيهم إلى ربنا
فلما استهانوا بتنبيتهنا	رجعنا إلى الله فى أمرنا
فعشنا على سنة المصطفى	وماتوا على تنتنا تنتنا

منذ استهل أحدنا صارخاً من بطن أمه فمتى يأتى هذا الوعد الحق؟ هل يأتى على طاعة تقربنا من الله؟ أم على معصية تبدعنا عن الله ؟!!

والموت باب وكل الناس داخله فيا ليت شعرى بعد الموت مالدار

هذا والحمد لله رب العالمين.

خادم السنة المطهرة

الشيخ / محمود عبد الملك الزغبى

المنصورة

ت: ٣٧١١١٣

(١) راجع صحيح سنن ابن ماجه (٢٥٠٣) . (٢) راجع صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٥٤) .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- فتح الباری بشرح صحیح البخاری ـ ط ـ الريان.

٣- صحيح مسلم بشرح النووی.

٤- سنن الترمذی.

٥- سنن أبی دواد.

٦- سنن ابن ماجة.

٧- سنن النسائی.

٨- مسند أحمد بن حنبل.

٩- صحيح الجامع الصغير ـ للألبانی.

١٠- السلسلة الصحيحة ـ للألبانی.

١١- التوابين "لابن قدامة المقدسی، بتحقيق المؤلف".

١٢- الداء والدواء ـ لابن القيم ـ بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبی.

١٣- ميزان الإعتدال ـ للذهبی.

١٤- شعب الإيمان للبيهقی.

١٥- مختصر تفسير بن كثير ـ بتحقيق الصابونی ـ بيروت، وط، دار الغد.

١٦- الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبی.

١٧- جمع البيان ـ للطبری.

١٨ـ الدر المنثور. ـ للسيوطی.

١٩- صحيح ابن حبان [موارد الظمآن].

٢٠- رياض الصالحين - بتحقيق المؤلف.

٢١- بستان الواعظين - لابن لجوزی- بتحقيق المؤلف.

٢٢- كشف الخفا - للعجلونی.

٢٣- إحياء علوم الدين ـ بتحقيق الشيخ/ مححد لزغبی.

٢٤- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة - للقرطبى.
٢٥- شرح السنة - للبغوى.
٢٦- صفوة التفاسير - للصابونى.
٢٧- البحر الرائق - أحمد فريد.
٢٨- أيها العاصى تذكر.. عبد للطيف هاجس - داو الأندلس الخضرء.
٢٩- البداية والنهاية
٣٠- الترغيب والترهيب
٣١- صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألبانى
٣٢- مسند الدارمى
٣٣- النكت على ابن الصلاح
٣٤- الأجوبة الفاضلة
٣٥- مجمع الزوائد - للهيثمى
٣٦- الحلية لأبى نعيم
٣٧- مشكاة المصابيح - بتحقيق الشيخ الألبانى
٣٨- تاريخ بغداد
٣٩- تذكرة الحفاظ
٤٠- شذرات الذهب
٤١- العلل لابن أبى حاتم الرازى
٤٢- طبقات الحفاظ
٤٣- صحيح سنن النسائى للعلامة الألبانى
٤٤- جلاء الأفهام للعلامة ابن القيم الجوزية
٤٥- أعلام المفسرين للصابونى
٤٦- جامع الأصول
٤٧- الرفيع والتكميل تحقيق الشيخ أبى عزة - رحمه الله
٤٨- الجامع الصغير للسيوطى - رحمه الله .

الفهرست

الموضوع	الصفحة